المحاضرة التمهيدية

عناصر المحاضرة

- **المعلومات العامة عن المقرر**
- **مقدمة**
- **المصادر والمراجع**
- **الاختبارات والواجبات والمنتديات.**

وصف المقرر:

:محتوى المقرر

يحتوي المقرر على ملامح عصر النهضة الأوربية، والكشوف الجغرافية وانتشار النفوذ الأوربي خارج القارة،والنهضة الايطالية، وحركة الإصلاح الديني، مارتن لوثر وصراعه مع الكنيسة والحروب الدينية، ثم حرب الثلاثين عاماً [١٦١٨- ١٦٤٨] والثورة الدستورية في إنجلترا، وحروب القرن الثامن عشر، ممثلة في حربي الوراثة الأسبانية والنمساوية والسنوات السبع، ثم عصر الثورة الفرنسية، والحقبة النابليونية. الإمبراطورية النمساوية وعهد مترنيخ، وأخيراً الوحدة الإيطالية والوحدة الألمانية.

أهداف المقرر :

المراجع

:عناصر خطة المقرر التفصيلية

❖ يشمل المواضيع التالية:

- مقدمة حول تاريخ أوروبا الحديث
- مظاهر أوروبا الحديثة (الفكرية و السياسية والاقتصادية و الاجتماعية)
- الكشوف الجغرافية و انتشار النفوذ الأوروبي خارج أوروبا (حركة الاستعمار)
- النهضة في ايطاليا
- النهضة خارج ايطاليا
- حركة الإصلاح الديني
- فرنسا و الحروب الدينية
- حرب الثلاثين عاما ١٦١٨- ١٦٤٨م
- فرنسا في القرن السابع عشر
- انجلترا و الثورة الدستورية
- روسيا و القارة الأوروبية
- بروسيا في القرن الثامن عشر حروب القرن الثامن عشر
- حروب القرن الثامن عشر ١٧٤٠- ١٧٦٣م
- حرب الاستقلال الأمريكية
- أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر

المحاضرة الأولى

مقدمة في تاريخ أوروبا الحديث

يصعب تحديد عام بعينه باعتباره بداية التاريخ الحديث لأوروبا ، لذلك يعتبر عصر النهضة الأوروبية من دلائل الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة. رغم ذلك اعتبر البعض سقوط القسطنطينية في يد الأتراك العثمانيين عام١٤٥٣م بداية للتاريخ الأوروبي الحديث،فقد ترتب على هذا الحادث قيام حركة لإحياء العلوم في أوروبا ، عندما غادر القسطنطينية عدد كبير من العلماء اليونانيين إلى أوروبا حاملين معهم مخطوطاتهم الثمينة التي انبثقت منها دراسات جديدة مهدت الطريق لظهور النهضة الأوروبية و حركة إحياء العلوم.

ويشمل تاريخ أوروبا في العصور الحديثة أكثر من أربعمائة سنة من نهاية العصور الوسطى إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي، ويمكن القول أن بوادر النهضة ظهرت في القرن الثالث عشر وبرزت خصائصها تدريجيا خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر، بحيث عبرت قوى النهضة عن نفسها بوضوح في القرن السادس عشر،الذي ظهرت فيه الدولة الحديثة وحركة الإصلاح الديني.

أما القرن السابع عشر فقد امتاز بظهور الملكيات المطلقة في أوروبا ، لذلك هو عصر السيطرة الفرنسية، فقد خرجت أوروبا من الصراع الديني العنيف منهكة القوى، فأصبحت تتطلع لإقامة نظام حكم قوي يستطيع أن يؤمن الاستقرار ويحفظ النظام، وتمثل ذلك بتدعيم الأنظمة الملكية في الدولة الحديثة، فظهر في فرنسا على سبيل المثال ملوك البوربون العظام.

ورغم أن القرن السابع عشر امتاز بانتشار الملكيات المطلقة في أوروبا إلا أن انجلترا ظلت بعيدة عن هذا النظام بسبب عزلتها وتقاليدها الموروثة.

أما القرن الثامن عشر الذي انتهى باندلاع الثورة الفرنسية عام١٧٨٩ ، فيعرف بعصر الملكيات المستبدة المستنيرة، بمعنى أن الملكية صارت تعتبر نفسها من ذلك الوقت خادمة للشعب بعد أن كانت سيدته، فهي تعمل لصالح الشعوب المحكومة ولصالح الدولة ذاتها في الوقت نفسه. وهذا النوع من الملكيات عرف في روسيا التي ظهرت على مسرح السياسة الأوروبية عندما بدأت تهاجم الأتراك في القرن السابع عشر.

وقد نجح طراز الملكيات المستبدة في تحقيق الأغراض التي وجد من اجلها ، إلا في فرنسا التي انفردت بنوع من الحكم الاستبدادي في عهد لويس الخامس عشر، فاثأر المقاومة ضده في كل جانب. ثم لم تلبث أن انتشرت آراء فلاسفة الثورة لتعمل على تحطيم النظام القديم، حتى إذا بدا حكم لويس السادس عشر " الرجل الضعيف" انفجرت الثورة عام ١٧٨٩ والتي اعتبرت نهاية عصر بأكمله ، وذلك لأنها :

١. قضت على بقايا الأنظمة و التقاليد الإقطاعية في أوروبا.

٢. قضت على فكرة الحكومة المطلقة نهائيا.

٣. أدت إلى إيجاد نظام الحكومة الدستورية التي يحصل فيها الشعب على حق الاشتراك في إدارة شؤون الحكم بواسطة ممثليه إلى جانب الهيئة الحاكمة.

٤. أدت إلى نجاح الطبقة المتوسطة التي انتشرت على يد أهلها النظم الديمقراطية في القرن التاسع عشر.

وشهد القرن الثامن عشر نزاعا استعماريا قويا بين فرنسا وبريطانيا في أمريكا والهند انتهى لصالح انجلترا بموجب صلح باريس عام ١٧٦٣م وفقدت فرنسا مستعمراتها في أمريكا والهند ، و انتقل ميدان التنافس بينهما إلى القارة الأوروبية والذي انتهى بهزيمة نابليون الأول إمبراطور فرنسا في موقعة واترلو عام ١٨١٥م.

مظاهر الانتقال من العصور الوسطى إلى الحديثة

هذه المظاهر الجديدة على أوروبا والتي بدأت أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر، والتي لم تبدأ بعام محدد ولم تشرق على أوروبا دفعة واحدة، لكن بذورها بدأت تنبت في أواخر العصور الوسطى و أتت ثمارها في العصر الحديث.

ومن هذه المظاهر:

الناحية الثقافية:

أول ما ظهر التطور في أوروبا تمثل في الناحية الثقافية، فقد كانت الكنيسة وحدها تتولى الثقافة والتعليم في العصور الوسطى، وكان العلماء أنفسهم رجال الدين الذين يقررون ما يقبله الناس أو يرفضونه، وتعاليمهم لا تقبل المناقشة. وكانت اللغة اللاتينية هي اللغة الأساسية الواجب على الفرد أن يتعلمها ويتقنها. وهي لغة الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى.

و كانت اللغات القومية للتخاطب المحلي فقط، ثم تطورت تدريجيا في العصور الحديثة إلى الناحية القومية ولم تعد اللغة اللاتينية وحدها لغة الثقافة و الأدب. وتصدت الجامعات لسيادة الكنيسة البابوية وناهضت مبدأ خضوع جميع الكنائس في البلاد الغربية خضوعا تاما للبابوية.

و أصبح التفكير حرا بهدف الوصول إلى الحقيقة، وتوفير أسباب السعادة للإنسان، ولم يعد التفكير بالعالم الآخر- بعد الموت- هو الشغل الشاغل للناس، فظهرت حركة أدبية واسعة النطاق عرفت بالحركة الإنسانية و عرف المشتغلون بها بالإنسانيين ، تمثل عملهم بالاهتمام بحياة الإنسان بعد أن تناستها العصور الوسطى التي اهتمت بالجوانب الروحية الأخروية على حساب المادية الدنيوية مما أدى إلى ظهور الرهبنة.

وزالت وصاية رجال الدين على التفكير والعلم وأصبحت الحقيقة بذاتها الهدف المنشود .واهتم الإنسانيون بالبحث عن الحقائق في كنوز المعرفة القديمة اليونانية و الرومانية، و اهتموا بجمع المخطوطات القديمة و دراستها و التعليق عليها. وازداد عدد المقبلين على تعلم اللغة اللاتينية واليونانية في بداية العصور الحديثة لتفسير ما جاءت به المخطوطات، وبعدها انتقلوا إلى الاهتمام باللغات القومية كالايطالية والفرنسة والانجليزية وغيرها،

الأمر الذي أصبح مظهرا من مظاهر النزعة القومية وعاملا هاما لنشر الأفكار الجديدة التي أتت بها النهضة ، ففي ايطاليا كتب الشاعر الكبير دانتي كتابه الشهير(الكوميديا الإلهية) باللغة الايطالية، وفي انجلترا وضع شوسر (قصص كانتربيري) باللغة الانجليزية، وغيرهم كثر في أوروبا الذين كتبوا أعمالهم بلغاتهم القومية.

وصاحب ذلك الاهتمام بترجمة التراث القديم إلى اللغات المحلية وترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات القومية، بعد أن كانت المعلومات الدينية حكر على رجال الدين الذين سخروها لمصالحهم المادية المختلفة، ونجم عن المطالبات بإصلاح الكنيسة ظهور حركة الإصلاح الديني على نطاق واسع، وترتب عليها اعتناق بعض شعوب أوروبا المقيدة البروتستنتية.

ومن المظاهر الثقافية عناية بعض الشعوب الأوروبية بجغرافية العالم واكتشاف أبعاده. وكان احتلال البرتغاليين سبته على الساحل الإفريقي عام ١٤١٥م بداية المغامرات البحرية التي أدت إلى دوران فاسكوداجاما حول افريقية عام١٤٩٢م و بداية الاستعمار البرتغالي في الشرق، ثم اكتشاف أمريكا ، و انتقال التفوق التجاري من المدن الايطالية إلى الدول التي تطل على المحيط الأطلسي. و بدا تنافس الدول الأوروبية بالبرتغال ثم اسبانيا ثم هولندا و فرنسا و انجلترا على الاستعمار خارج أوروبا.

وأثبتت حركة الكشوف الجغرافية بطريقة علمية كروية الأرض بعد نجاح رحلة ماجلان حول الأرض. وغيرها من النظريات التي عارضها رجال الدين في العصور الوسطى. و هكذا ازدادت معرفة الإنسان بان العلم لا يقف عند حد وان الحقيقة بنت البحث.

المظاهر السياسية:

تمثلت أهم المظاهر السياسية بظهور الدولة القومية الحديثة، فقد أدى تطور الحركة التجارية في أوروبا مطلع العصر الحديث خصوصا بين الشرق والغرب، إما بطريق آسيا وروسيا عبر البلطيق، أو بطريق بحر قزوين والأنهار الروسية، وإما بطريق البحر المتوسط الذي كان أهمها جميعا ، فكان البنادقة ينقلون المتاجر الشرقية من موانئ المتوسط إلى المدن الايطالية الشمالية، ومنها إلى أوروبا عبر جبال الألب ثم إلى وسط ألمانيا أو إلى شمالها ثم الأراضي المنخفضة.

ونجم عن ذلك أن ظهرت في أوروبا منطقتان رئيستان للصناعة، أحدهما شمال غرب أوروبا والأخرى في إيطاليا الشمالية، وبينهما عدة مراكز صناعية، وعرف هذا الطريق بأنه(السلسلة الفقرية الاقتصادية لأوروبا)، فساهم في نشأة الدولة القومية الحديثة؛ ذلك أنه بفضل

قيام الصناعات وانتشار التجارة حول الطريق، ظهرت طبقة جديدة تحملت عبء هذا النشاط، وهي الطبقة الوسطى(أو البرجوازية)، كما حدث في فرنسا وانجلترا وهولندا وبلجيكا. (هام مناقشة ١)

ولما أصبحت التجارة والصناعة هي مصدر الثروة والقوة التي امتلكتها الطبقة الوسطى ،فقد زالت أهمية الأرض كمصدر منفرد للثروة، وأدى ذلك إلى زوال طبقة رقيق الأرض وزوال نظام الاقطاع الأوروبي بأكمله، وظهور الدولة القومية الحديثة.وقامت الطبقى الوسطى بالدور الأكبر في الدولة الحديثة، إذ لاعتبارات جغرافية، اتفق أهل الاقليم الواحد في اللغة والجنس وإلى حد ما في الدين على تقسيم أوروبا إلى مجموعات من الأمم، وكانت الطبقة الوسطى عماد النشاط الاقتصادي في كل أمة. (هام مناقشة ٢)

وشعرت الطبقة الوسطى بتفوقها على الطبقات الأخرى، وأنها بحاجة إلى حكم جديد يهتم بمصالحها وعلاقاتها السياسية كافة، بعيدا عن نموذج النظام السياسي الذي كان سائدا في العصور الوسطى، ووجدت الوسيلة في إنشاء سلطة مركزية قوية تهتم بحماية نشاطها الاقتصادي وتنميته، ولأنها صاحبة الثروة فالحكومة المركزية بحاجة إلى معونتها المالية اللازمة لنفقاتها لتأدية واجبها على الوجه الأكمل. وساندت الطبقة الوسطى نظام (الملكية المطلقة) للقضاء على سلطة النبلاء، حتى أصبحت منيعة الجانب. وتطرف الملوك في هذا النظام فاعتبروا أنفسهم يمثلون الله على الأرض ويستمدون سلطانهم منه، هذا ما عرف باسم(حق الملوك المقدس).

وبالتالي أصبحت الدولة القومية ذات النظام الملكي الوراثي هي الوحدة السياسية في التكوين الأوروبي الحديث، وكانت انجلترا وفرنسا واسبانيا والبرتغال أسبق هذه الوحدات، بينما تأخر تطبيق هذا النظام في ألمانيا وايطاليا إلى القرن التاسع عشر .(انظر

الكتاب ص٢٤- ٢٨) ففي انجلترا مثلا وبعد انتهاء حرب المائة عام مع فرنسا(١٣٣٧-١٤٥٣م) اقتصرت جهود ملوكها على انجلترا ذاتها ، وامتاز تاريخها باجتماع كلمة النبلاء ورجال الدين والعامة على تقييد الملكية،وذلك منذ صدور(العهد الأعظم) الماجنا كارتا عام ١٢١٥م الذي وضح الحقوق والواجبات لكافة طبقات المجتمع الانجليزي. وفي سنة ١٤٥٥ بدأت الحرب الأهلية المشهورة باسم (حرب الوردتين)،والتي استمرت ثلاثين عاما ،والسبب في تسميتها أنها وقعت بين أسرتين عريقتين من الأسر الحاكمة في انجلترا وهما أسرة(يورك) وكان شعارها الوردة البيضاء،وأسرة (لنكستر) وشعارها الوردة الحمراء. وكان سبب الحرب التنافس بينهما على منصب ملك انجلترا . وانتهت الحرب بانتصار لنكستر،وتأسيس ملكية تيودور السابع القوية.

أما في فرنسا فبعد حرب المائة عام،وانتهاء نفوذ انجلترا من الأراضي الفرنسية، استطاعت فرنسا أن تحقق وحدتها السياسية المتكاملة، من خلال حكومة ملكية ذات سلطة مركزية.وسعى ملكها شارل الثامن(١٤٨٣- ١٤٩٨) لإتمام تلك الوحدة،كما رغب بتوسيع نفوذ فرنسا إلى خارج حدودها،خصوصا على حساب ايطاليا المقسمة إلى إمارات عديدة،فكان أول من بدأ عام ١٤٩٤الحروب الشهيرة المعروفة باسم الحروب الايطالية،والتي انتهت بمعاهدة عام ١٥٥٩ على أثر تدخل الدول الأوروبية خصوصا اسبانيا.ولم تحقق فرنسا أطماعها في ايطاليا.

<u>المظاهر الاقتصادية:</u>

<u>جاءت المظاهر الاقتصادية لأوروبا الحديثة نتيجة للكشوف الجغرافية وحركة الاستعمار الذي بدأته البرتغال واسبانيا خارج القارة الأوروبية. فقد استطاعت البرتغال اكتشاف طريق</u>

رأس الرجاء الصالح حول إفريقيا؛ فتمكنت من ربط آسيا بأوروبا بطريق مائي جديد مهد السبيل للبرتغاليين للسيطرة على تجارة الشرق الأقصى.

ونتج عن حركة الكشوف الجغرافية انتقال مركز التجارة من حوض البحر المتوسط إلى المحيط الأطلنطي، وبالتالي انتقلت الزعامة التجارية من دول المتوسط إلى دول غرب أوروبا؛ ونتج عن ذلك تدفق منتجات الشرق على أوروبا بكميات أوفر وأسعار أقل مما كانت عليه سابقا. كما اهتمت أوروبا بإغراق البلاد المكتشفة بمنتجاتها الصناعية، فنشطت الصناعة وزاد حجم التجارة، وبالتالي فتحت الكشوف الجغرافية ميادين جديدة للاستغلال والنشاط الاقتصادي.وازداد التنافس بين الدول الأوروبية خصوصا في العالم الجديد(القارة الأمريكية)، الذي أصبح مصدر تدفق الذهب والفضة إلى أوروبا، مما ساعد على تدهور نظام التعامل البدائي، ثم تضخم العملة وتدهور قيمتها.

وارتبطت الثورة التجارية بانتشار الرأسمالية كنظام اقتصادي جديد، حين أصبح بإمكان الفرد أو مجموعة من الأفراد استغلال مدخراتهم في عمليات تجارية أو صناعية بقصد الحصول على الربح. ونمت العمليات الرأسمالية نموا سريعا، وتطورت أشكال الشركات التجارية، فحلت الشركات المساهمة محل الشركات الأسرية.

المظاهر الدينية:

وهي مرتبطة بالمظاهر الفكرية، لأن تحرر الإنسان في تفكيره دفعه إلى مناهضة سلطة الكنيسة المطلقة وبالتالي ظهور حركة الإصلاح الديني. ومنذ أوائل القرن السادس عشر واجه شارل الخامس إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة مشكلة في ألمانيا تمثلت بالحركة الدينية التي تزعمها مارتن لوثر ضد الكنيسة الكاثوليكية في روما، نتج عنها انقسام ديني

مذهبي جعل سكان ألمانيا فريقين:كاثوليكي وبروتستانتي؛مما أدى إلى حرب أهلية في ألمانيا امتدت إلى بقية أوروبا ،ونتج عنها كثير من الدماء.

ومن آثار هذه الحركة على العالم المسيحي أن خرج على الكنيسة الكاثوليكية أكثر من نصف أوروبا الغربية تحت اسم البروتستانتية ،كما ظهرت أنواع جديدة من المذاهب البروتستانتية ،بينما بقيت الدول الكبرى مثل فرنسا واسبانيا والنمسا وايطاليا على كاثوليكيتها. (هام مناقشة ٥)

ومن العوامل التي أدت إلى انتشار حركة الإصلاح الديني مطلع العصر الحديث في أوروبا :

- تدهور الكنيسة الكاثوليكية في روما.
- روح النقد والتحرر الفكري من القيود التي فرضتها الكنيسة.
- رغبة حكام الوحدات السياسية في ألمانيا بالتحرر من سيطرة الكنيسة في روما.
- صكوك الغفران،وكانت السبب المباشر لقيام حركة الاصطلاح الديني وتحولها إلى حركة ثورية.

المحاضرة الثانية

عصر النهضة الأوروبية

يطلق على عصر النهضة حركة إحياء العلوم والآداب، وعرفت هذه الحركة "بالاحياء" حيث اعتبرت الفترة التي سبقتها بفترة سكون وجمود ويجب انتشال الانسان واحياؤه منها. وكان علماء هذه الفترة يؤمنون بان الحضارة قد اندثرت بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية وهم السبب في عودة الحضارة إلى الوجود.

ميزات عصر النهضة الأوربية:

تميز عصر النهضة بعدة ميزات أهمها:

١. ظهور شخصية الفرد
٢. عصر الأدب والفن
٣. الكشوف الجغرافية
٤. وعصر العلوم والمخترعات أي عصر التغييرات الكبيرة في كل ميادين الحياة المادية والفكرية

آثار عصر النهضة:

١. نمو الدول الأوربية الحديثة.
٢. سقوط سلطة البابا .
٣. ظهور حركات الإصلاح في الكنيسة الكاثوليكية نتج عنها المذهب البروتستنتي.
٤. ظهور آداب وطنية جديدة مستقلة عن الأدب اللاتيني القديم.
٥. ضعفت سلطة الأمراء والإقطاعيين.

٦. ظهور طبقة التجار ونمو الصناعة.

٧. ظهور بعض المخترعات الحديثة كالبوصلة والإسطرلاب التي ساعدت في حركة الكشوف الجغرافية .

٨. اختراع الطباعة.

عوامل قيام النهضة الأوروبية

١- الصلات الثقافية بين أوروبا الغربية ومراكز الحضارة الإسلامية:

كان للحضارة الإسلامية دورها المهم في قيام النهضة الأوربية، ولو عقدنا المقارنة بين أوروبا والعالم الإسلامي خلال العصور الوسطى حينها كانت أوروبا مقيدة بأغلال الجهل والتخلف والتمزق والعبودية بينما كان العالم الإسلامي بأوج المعرفة والازدهار الفكري والثقافي والاقتصادي، حيث كانت مراكز الثقافة والعلوم منتشرة في العالم الإسلامي الذي كان مقصد العلماء ورجال الدين من الأوروبيين ، للإطلاع على مؤلفات أعلام الفكر الإسلامي الذين كتبوا في مختلف فروع المعرفة ، ووضعوا النظريات والقوانين العلمية، وطبقوها بإتقان، يدفعهم إلى ذلك إيمانهم بالعلم وتشجيع الخلفاء والحكام، وأخذ الأوروبيون ينهلون من ينابيع المعرفة العربية الإسلامية، ويترجمونها إلى لغاتهم، فكانت اللبنة الأولى في صرح النهضة الأوروبية الحديثة.

وانتقلت الحضارة الإسلامية إلى أوروبا عبر عدة طرق وهي:

١- الأندلس: حكمها العرب المسلمون حوالي ثمانية قرون، أصبحت خلالها منارة للعلم، وازدهرت فيها دراسة الفلسفة والطب والرياضيات وغيرها من العلوم.وكانت العاصمة

قرطبة أرقى عواصم العالم حضارة. وفي مدن الأندلس قامت الجامعات الإسلامية، وانتشرت المكتبات ومراكز الثقافة الزاخرة بالمخطوطات الثمينة.

٢- جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا: حكم المسلمون صقلية لأكثر من قرنين ونصف، ونقلوا إليها الحضارة الإسلامية، وأصبحت مقصد طلاب العلم من الأوروبيين.

٣- الحروب الصليبية: فقد كانت عاملا هاما في الاتصال، ولما اقتحم الأوروبيون المشرق الإسلامي بدوافع استعمارية وحقدهم الصليبي وبضغط من الكنيسة، ونجح الصليبيون في إقامة أربع إمارات في بلاد الشام؛ وتعرفوا من خلالها على جوانب من الحضارة الإسلامية، ولما استطاع المسلمون طردهم نقلوا معهم كثير من فنون القتال والأسلحة وبعض الصناعات الإسلامية.

تابع عوامل قيام النهضة الأوروبية:

٢- شخصية أعلام عصر النهضة، حيث ظهرت شخصيات مبدعة في سبيل العلم بغض النظر عن المردود المادي خصوصا في مجال الإنسانيات.

٣- انتقال عدد كبير من العلماء الإغريق إلى ايطاليا. خصوصا في أعقاب دخول الأتراك العثمانيين القسطنطينية.

٤- اختراع الطباعة: وكان من عوامل نجاح حركة الإنسانيين ، حيث أصبحت طباعة الكتب أسهل؛مما أدى إلى غزارة الانتاج العلمي وبأسعار أقل. وبالتالي سرعة انتشار الكتب.

٥- نمو المدن: خصوصا المدن الايطالية التي ازدهرت بفعل النشاط التجاري بين الشرق والغرب.ودور الطبقة الوسطى في المدن في تدعيم السلطة الملكية،وقيام ثورة ثقافية من خلال إنشاء المدارس في كل مدينة،ونقل التعليم من الأديرة إلى المدن.

خصائص عصر النهضة:

يجب ملاحظة أن خصائص عصر النهضة تتداخل مع مظاهر أوروبا الحديثة ،لأن الخصائص تكمل المظاهر وتوضحها.أما خصائص عصر النهضة فيمكن اجمالها فيما يلي:

١- الناحية الثقافية: فقد امتاز عصر النهضة بظهور تيارات ونظريا فكرية جديدة: مثل روح الشك والنقد والبحث عن الحقيقة،علاوة على إحياء الدراسات اللاتينية والإغريقية.ونشأت النهضة الثقافية بعيدا عن جامعات العصور الوسطى، التي أهملت العلوم الإنسانية،وانحصر اهتمامها بالطب والقانون،وعلم اللاهوت.

٢- الناحية السياسية: والتي تأثرت بالتحرر الفكري،وتحرر الفرد من العبودية تدريجيا،وظهور الطبقة الوسطى ، وكان ذلك على حساب سلطة الأمراء،ولصالح سلطة الأسر الملكية،التي جعلت ولاء الأفراد للملكية والوطن فقط.

٣- الناحية الاقتصادية: حيث نشطت التجارة بالمنتجات الأوروبية،وساهمت الكشوف الجغرافية بانتشار التجارة الأوروبية في أنحاء العالم،الأمر الذي أدى لاحقا إلى الاستعمار.ولم يعد الاقتصاد يعتمد على الزراعة فقط بل أصبح مرتبط بالتجارة والصناعة.

٤- الاهتمام بالآثار وعلم التاريخ.

٥- ظهور اللغات الأوروبية الحديثة ،وانتشارها باعتبارها اللغة السائدة للعلم والكتابة،وأصبحت من مظاهر القومية في أوروبا.

٦- الاهتمام بالفنون الجميلة: وتمثل ذلك بالاهتمام بهندسة العمارة والنحت والرسم

٧- انحلال الأخلاق وسقوط المبادئ: ويعتبر هذا الأمر من الآثار السلبية لعصر النهضة.

مظاهر عصر النهضة:

١- في المجال الثقافي: يمكن إجمالها فيما يلي:

إحياء التراث اللاتيني والإغريقي

إنشاء المكتبات.

- ظهور الأكاديميات الأدبية مثل: أكاديمية نابولي وفلورنسا ، الأكاديمية الافلاطونية.

٢- ظهور الحركة الإنسانية والتي ركزت على الاهتمام بالإنسان وسعادته.والتحرر من قيود الماضي. فظهر في ايطاليا (دانتي) مؤلف كتاب الكوميديا الإلهية،وأخذ رواد الفكر والفن في أوروبا يتبادلون الأفكار وينادون بالإصلاح وينتقدون مساوئ المجتمع والكنيسة.

٣- حركة الإصلاح الديني.(سوف ندرسها في محاضرة مستقلة).لكن لا بأس من استعراض أبز نتائجها:

أ- انقسام أوروبا إلى عدة فئات: كاثوليك وبروتستانت(المحتجين) وأرثوذكس.

ب- اشتعال الحروب الدينية الهوجاء في أوروبا،والتي أدت إلى الاعتراف بحرية العقيدة والتسامح الديني.

ج- ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات القومية الأوروبية، ونشره بين الناس ليفهموا الدين من مصدره.

د- تنبه الكنيسة الكاثوليكية إلى ضرورة إجراء الإصلاح المطلوب لاستعادة وحدتها وهيبتها بين الناس وهذا ما سمي ب (حركة الاصلاح المضادة)

٤- تقدم الفنون: فقد كان ازدهار الفنون من أوضح الأمثلة على النهضة الحديثة في ايطاليا خاصة وفي أوروبا عامة(كما سيتضح عند دراستنا للنهضة في ايطاليا في محاضرة مستقلة)

٥- ظهور نظريات سياسية في الحكم والإدارة، والتي تمثلت بتنامي سلطة الملوك، وذلك بفعل ظهور الطبقة الوسطى ودورها في تركيز السلطة بيد الملوك.

أهم نتائج عصر النهضة:

١- القضاء على التفكير الديني القديم، وظهور تفكير جديد يعتمد أسلوب البحث والاستقصاء بهدف الوصول إلى الحقيقة، الأمر الذي إلى اكتشاف نظريات علمية جديدة مثل : أن الأرض هي التي تدور حول الشمس وليس العكس كما كان يعتقد سابقا.

٢- الاهتمام بالتربية الجسدية إلى جانب التربية الذهنية .

٣- الاهتمام البالغ بالدراسات الإغريقية واللاتينية التي وجدت هوى لدى علماء عصر النهضة .

٤- النتائج العلمية الهائلة التي خلفتها هذه الفترة في مختلف ميادين العلوم. مثال :إثبات كروية الأرض

المحاضرة الثالثة

الكشوف الجغرافية وانتشار النفوذ الأوروبي (حركة الاستعمار)

مقدمة:

كانت المعلومات الجغرافية عن العالم ضئيلة وخاطئة وخالطها الجهل والخوف من ارتياد المحيطات، فمثلا اعتقد الأوروبيون في القرن الحادي عشر أن الأرض عبارة عن قرص منبسط مركزه القدس ويحيط به البحر.ولما استأنفت الملاحة نشاطها تدريجيا أواخر العصور الوسطى ومطلع العصور الحديثة، اخذوا يدرسون من جديد المعلومات المتوافرة لديهم متأثرين بالفكرة الاغريقية التي تقول بأن بإمكان المتجه غربا من شواطئ أوروبا أن يصل إلى الشرق.

وكانت رغبتهم بالوصول إلى الشرق مدفوعة بعدة أسباب وهي نفسها أسباب ودوافع حركة الكشوف الجغرافية التي تعتبر من أهم مميزات تاريخ أوروبا في العصر الحديث.

أسباب ودوافع حركة الكشوف الجغرافية:

١- نمو الروح القومية :

كانت من الأسباب القوية بتأثير رغبة الدول الأوروبية في السيطرة على مناطق جديدة تسكنها مجموعات بشرية ضعيفة ،وقد وجدت المجال لتحقيق أطماعها في العالم الجديد وعلى سواحل أفريقيا وفي جنوب آسيا ،وأدى تنافس الدول الأوروبية على السيطرة على تلك البلاد إلى اشتعال الحروب في أوروبا وخارجها ،مما أدى إلى قيام دول استعمارية مثل اسبانيا والبرتغال وهولندا وفرنسا وانجلترا.والتي كانت تتحرك بدافع نزعتها القومية بعد تحقيق وحدتها أما الدول التي لم تشارك في التنافس الاستعماري خارج القارة الأوروبية مثل ايطاليا وألمانيا ،فذلك بسبب تأخرهما عن الوحدة القومية ،وبالتالي لم يكن لها نصيب في العالم الجديد.

٢- الربح التجاري والجشع الاقتصادي:

رغبت الدول الأوروبية في التخلص من الرسوم الجمركية التي كانت تفرضها الدولة الإسلامية في مصر والشام على مرور التجارة الشرقية منها إلى أوروبا ،إلى جانب التخلص من الاحتكار الذي كان يمارسه تجار البندقية. وتطلع تجار أوروبا كافة إلى المشاركة في التجارة مع الشرق. والتي كانت مصدر أرباح كثيرة

ومن السلع التي كانت تقوم عليها هذه التجارة: التوابل، العطور العربية والعقاقير الهندية.وارتفعت أسعار السلع الشرقية ارتفاعا كبيرا بسبب الضرائب الجمركية الباهظة

على تفريغ البضائع في السويس والإسكندرية ، ثم ضرائب أخرى على إعادة شحنها إلى أوروبا ، وبلغت هذه الرسوم سدس قيمة السلع.ورغم ذلك فقد كانت تجارة الشرق أوفر أنواع التجارة ربحا ، وقد عاش كثير من التجار الأوروبيين عيشة الملوك من أرباح تجارتهم مع الشرق.

ولم يكن للتجار الأوروبيين حتى نهاية القرن الخامس عشر اتصال مباشر بمصادر السلع الشرقية ، أي الهند وبعض بلاد الشرق الأقصى ، فأصبحت الرغبة بالاتصال بمصادرها عاملا أساسيا في حركة الكشوف الجغرافية ، وتأسيس المحطات التجارية الهامة على طول الطريق البحري من غرب أوروبا وأفريقية فسواحل المحيط الهندي إلى منطقة جزر الهند الشرقية الغنية بالتوابل. ومجمل القول هي الرغبة في اكتشاف طريق جديد للوصول إلى الهند والشرق الأقصى مباشرة دون المرور ببلاد المسلمين المطلة على البحر المتوسط.

٣- العوامل الدينية:

ذلك أن الدول الأوروبية التي اعتزت بقوميتها واعتقدت بصلاحية حضارتها أخذت على عاتقها نشر حضارتها إلى جانب مذاهبها الدينية. وكانت الرغبة في نشر المسيحية من حوافز توجيه حركة الكشوف الجغرافية. ولعب العامل الديني دورا كبيرا في تخطيط سياسة البرتغال واسبانيا خصوصا ، لأن الحماسة الدينية فيهما من مواريث الصليبيين ، ولما لذلك من علاقة بالجهود التي بذلتها اسبانيا المسيحية لإخراج المسلمين من أراضيها ، ولم تكتف بذلك بل لاحقتهم خارج اسبانيا خصوصا في شمال افريقية؛ وذلك سعيا لمحاربة الاسلام ، ولتحويل المسلمين في غرب افريقية وفي غيرها إلى المسيحية.وسعت البرتغال لتحويل أثيوبيا إلى المذهب الكاثوليكي وفصلها عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر.

ومما يؤكد العوامل الدينية في حركة الكشوف الجغرافية اهتمام البابوية في روما بمتابعة مجرياتها، فأصدر عدد من الباباوات مراسيم متلاحقة يمنحون فيها ملك البرتغال واسبانيا الحق في ملكية كل إقليم جديد مكتشف أو سيكتشف في المستقبل، وشددت بعض المراسيم على محاربة الإسلام، وضرورة تنصير سكان المناطق المكتشفة، ورافق المبشرون الرحلات الاستكشافية. وكان للمغامرين الأوروبيين أمثال كريستوفر كولومبس أهداف انتقامية موجهة نحو المسلمين.

٤- الرغبة في زيادة المعلومات الجغرافية:

وجاء ذلك بتأثير روح البحث العلمي وتقدم علم الفلك وتعرف أوروبا على بعض الأدوات التي تساعد في الرحلات البحرية الطويلة مثل :الاسطرلاب والبوصلة وغيرها.

٥- عوامل شخصية:

والتي تمثلت بروح المغامرة وغريزة حب الاستطلاع والكشف عند بعض الناس.

الكشوف البرتغالية:

كانت البرتغال أول دولة بحرية قامت بسلسلة من المغامرات انتهت بكشف مواقع هامة وبلاد جديدة.مستغلة التقدم العلمي في علم البحار والفلك.

وارتبطت حركة الكشوف البرتغالية بحياة الأمير هنري الملاح(١٣٩٤- ١٤٦٠) أحد أبنا الملك يوحنا ملك البرتغال، الذي اهتم منذ صباه بالدراسات الجغرافية والفلكية، ودرس الخرائط الجغرافية واهتم بتطوير بناء السفن. واشترك في عدة مغامرات حربية في شمال افريقية، ونجح عام ١٤١٥ في الاستيلاء على مدينة سبته على الشاطئ الشمالي لافريقية

المواجه لاسبانيا وعينه والده حاكما عليها. واهتم بشؤون البحر،وأسس أكاديمية بحرية ومرصدا. ونظرا لتدينه فقد اهتم بنشر المسيحية في أفريقيا الشمالية.

ولما احتاجت التوسعات البرتغالية في القارة الإفريقية إلى الأموال رأى الأمير هنري أنه من خلال الاتجار في الرقيق يحصل على الأموال اللازمة لتحقيق تطلعاته الدينية والاقتصادية.ومن نجاحاته الكشفية في افريقية اكتشاف الرأس الأخضر على الساحل الغربي عام ١٤٤٥م،واستطاع أن يرتاد ثلث الساحل الإفريقي الغربي قبل وفاته.

ونجح البرتغاليون في الوصول إلى غانا،واجتازوا خط الاستواء عام ١٤٧١،وتأكدوا أن القارة الإفريقية تمتد جنوب هذا الخط،وأن الملاحة في هذه المناطق ليست مستحيلة،ووصلوا إلى مصب نهر الكونغو، واحتكروا الملاحة على الساحل الإفريقي الغربي .

ومما ساعد على نجاح البرتغاليين استعانتهم بالمعلومات الملاحية التي عرفها العرب قبل أوروبا بعدة قرون؛ولذلك اهتم البرتغاليون بالحصول على تلك المعلومات بإرسال البعثات إلى البلاد العربية لجمع كل ما لديهم من خرائط ومؤلفات عن المحيط الهندي وبحر الصين،وكذلك عن التيارات البحرية وحركات الرياح.

ومن الحملات أو البعثات الجغرافية البرتغالية باتجاه افريقية تلك التي أرسلها الملك يوحنا الثاني(١٤٨١- ١٤٩٥) برئاسة الملاح الكبير برثلميو دياز،وهدفها ارتياد بقية الساحل الإفريقي والوصول إلى الهند عن طريق البحر مباشرة . واكتشف عام ١٤٨٧ الطرف الجنوبي للقارة الذي كان يسمى رأس العواصف ولما عاد دياز إلى البرتغال سماه رأس الرجاء الصالح تفاؤلا ،ولأنه باكتشافه أصبح الطريق للهند واضح المعالم.

كما أرسلت بعثة أخرى عام ١٤٩٧برئاسة فاسكو داجاما ،تمكنت من استكمال الرحلة إلى الهند والدوران حول جنوبي أفريقية،ووصل إلى موزمبيق. واستعان داجاما في ميناء ملندي بشرق افريقية بالبحار العربي أحمد بن ماجد ، للوصول إلى ساحل الهند الغربي،وهناك عقد اتفاقيات تجارية مع الأمراء الهنود ،وعاد إلى بلاده عام ١٤٩٩ ،وسفنه محملة بالتوابل والمنتجات الشرقية.

وحالف الحظ البرتغاليين عندما اكتشفوا مصادفة البرازيل،عندما سعت حملة برتغالية قادها الملاح كبرال عام١٥٠٠ لتجنب خليج غانا ، فإذا بها تصل إلى البرازيل في أمريكا الجنوبية ، وتبعها حملات قادها أمريكو فيزبوتش الذي أطلق اسمه على الأمريكيتين.أما في الشرق العربي الذي أصبح في عهدة العثمانيين بعد سنة ١٥١٧ فقد أصبح مجالا للتوسع البرتغالي خصوصا عند مدخل الخليج العربي والبحر الأحمر.

وخلاصة القول فقد تطورت جهود البرتغاليين من فكرة كشف الطريق البحري إلى الهند إلى احتلال الأراضي وتكوين إمبراطورية في أجزاء من أفريقية وآسيا وحتى في أمريكيا.

نظام الاستعمار البرتغالي:

انحصر التوسع البرتغالي في اتجاهين هما :

الأول: العالم الجديد (القارة الأمريكية)،وبدات البرتغال ذلك باحتلالها البرازيل، وطبقت عليها نظام الاقطاع،ونشرت لغتها ومسيحيتها الكاثوليكية فيها. واهتموا بالزراعة وجلبوا العبيد من إفريقية لهذه الغاية.

الثاني :شرق افريقية، حيث احتل البرتغاليون المراكز والمحطات التجارية، وسعوا لاحتكار التجارة الشرقية، والحصول على أرباحها، دون الاهتمام بزراعة الأرض. وأقام البرتغاليون في هذه الممتلكات نظاما من الحكم كان في النهاية أحد أسباب انحلال إمبراطوريتهم؛ذلك أنهم جمعوا السلطة في شخص نائب الملك، وهو الحاكم المقيم في جوا، والذي تمتع بسلطة مطلقة، ولم يكن مسؤولا إلا أمام ملك البرتغال نفسه. ولما كانت مدة حكمة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة أعوام، فقد سعى نواب الملك لابتزاز الأموال من الأهالي.أما أهم مظاهر الاستعمار البرتغالي في افريقية فيمكن تلخيصها فيما يلي:

- اقتصار وجودهم على السواحل دون التوغل داخل البلاد الإفريقية.
- تحطيم قوة التجار المسلمين.
- تعاملهم في تجارة الرقيق.
- احتكروا التجارة مع الإفريقيين.

أسباب سقوط الإمبراطورية البرتغالية الاستعمارية عام ١٥٨٠:

١- عدم قدرتهم على إيجاد طبقة وسطى برتغالية تتولى شؤون التجارة.وسمحت للهولنديين القيام بذلك.

٢- خضوع البرتغال للاحتلال الاسباني .

٣- قلة عدد سكان البرتغال وصغر مساحتها مقارنة بتوسعاتها الخارجية .

الكشوف الاسبانية:

اتجه البرتغاليون في كشوفهم وتوسعهم نحو الغرب للوصول إلى الشرق دون الحاجة للمرور بسواحل البحر المتوسط. وكان صاحب الفضل في كشف الطريق الغربي كاملا للملاح الايطالي كريستوفر كولمبس الذي كان يعمل لصالح فرديناند وإيزابيلا ملكي اسبانيا . وقد مرت حركة الكشوف الاسبانية بدورين أساسيين:

الأول(١٤٩٢- ١٥١٦) فترة حكم فرديناند الكاثوليكي الذي قبل تحت تأثير عوامل دينية واقتصادية تمويل حملة كريستوفر بالاتجاه من اسبانيا غربا للوصول إلى الهند.وأبحرت الحملة عام ١٤٩٢ ،فوصل إلى جزر البهاما وسماها السلفادور،وكذل وصل إلى جزيرة هايتي التي سميت لاحقا(اسبانيا الصغيرة)،ورجع إلى اسبانيا معتقدا بوصوله إلى طرف العالم الشرقي أو جزر الهند الشرقية. وخرج كريستوفر برحلات أخرى كان هدفها احتلال الأراضي الجديدة واستعمارها ،واستخراج الذهب ونشر المسيحية ،لكنه لم يوفق في تحقيق أهدافه،فعاد إلى اسبانيا مكبلا بالقيود وسجن على أثرها ،وانطوى على نفسه وعانى من الحزن والألم حتى وفاته عام ١٥٠٦.

ونتج عن رحلات كريستوفر :

١- الصراع بين اسبانيا والبرتغال على ملكية الأراضي الجديدة والذي انتهى بتدخل البابا اسكندر السادس،وبالتالي توقيع معاهدة توردسيلاس عام١٤٩٤ ،والتي نصت على أن تستولي البرتغال على كل ما يكتشف شرقي خط وهمي يرسم بطول المحيط الأطلنطي بطول ٣٧٠ ميلا إلى الغرب من جزر الرأس الأخضر، وتستولي اسبانيا على كل شيء غربي هذا الخط،وتبعا لذلك أصبحت البرازيل من نصيب البرتغال.

٢- فتح الطريق لرحلات الأفراد والمغامرين نحو أمريكا الوسطى والجنوبية.

تابع الكشوف الاسبانية:

الدور الثاني(١٥١٦- ١٦٠٠) حيث تولى حكم اسباني شارل الأول عام ١٥١٦ ،وفي عهده تمت رحلة الدوران حول العالم ،وفتوحات الأسبان في المكسيك وبيرو وأمريكا الجنوبية والوسطى.

واقترنت الرحلة حول العالم باسم ماجلان(١٤٧٠- ١٥٢١)،الذي كان يعتقد بإمكانية الوصول إلى جزر الهند الشرقية بالدوران حول الطرف الجنوبي لأمريكا ،فعرض فكرته على ملك اسبانيا الذي رحب بالمشروع،خاصة أنه لا يتعارض مع اتفاقية توردسيلاس مع البرتغال. وأبحرت الحملة حتى وصلت جزر الفلبين،فاعتقد ماجلان أنه وصل إلى جزر التوابل،ولقي حتفه سنة ١٥٢١. فتولى مكانه (ديل كانو) الذي تمكن من العودة بالحملة عن طريق رأس الرجاء الصالح إلى اسبانيا عام ١٥٢٢. وبذلك أتم الدوران حول الأرض في رحلة استغرقت ثلاثة أعوام. وبالتالي نتج عنها إثبات كروية الأرض والوصول إلى الهند بطريق مائي مباشر.

وتوالت الرحلات الاسبانية إلى القارة الأمريكية فاستولوا على أمريكا الوسطى،وأسسوا عدة مدن جديدة فيها ،وكذلك استولوا على بنما في أمريكا الجنوبية ثم بيرو وشيلي،وحصلوا على كميات كبيرة من الذهب والفضة.وبمرور الوقت سيطروا على أمريكا الجنوبية باستثناء البرازيل التي بقيت تابعة للبرتغاليين.

نظام الاستعمار الاسباني:

يمكن إجمال أهم خصائص الاستعمار الاسباني على النحو التالي:

- **في الناحية الاقتصادية: استدعت رحلات الكشف من البداية العمل على تنمية إيرادات المستعمرات الصغيرة والإشراف على الراغبين بالهجرة إليها ، وتنظيم مركز في اسبانيا نفسها لإدارة المستعمرات الجديدة فتأسس عام ١٤٩٣ مكتب الإدارة الرئيسية للهند الغربية ،ثم**

أقيمت وكالة خاصة(الوكالة التجارية) للإشراف على تجارة المستعمرات.ومع تراجع انتاج المناجم من الذهب والفضة أواخر القرن السادس عشر اتجه الأسبان إلى فلاحة الأرض.

- في الناحية السياسية : استمرت الوكالة التجارية بتولي مسائل المستعمرات حتى تأسيس(مجلس الهند الغربية) عام ١٥٢٤ ،وأصبح له اختصاصات واسعة فهو الذي يعين ويعزل نواب الملك أو حكام المستعمرات ورجال الدين بناء على موافقة الملك.

- في الناحية الحضارية والدينية: أدخل الأسبان حضارتهم إلى البلاد الأمريكية التي استولوا عليها ،فقد أدخلوا لغتهم وثقافتهم وديانتهم إلى القارة الجديدة.أما دينيا ، فقد سارت البعوث الدينية التي أرسلتها أسبانيا جنبا إلى جنب مع حركات الغزو والاستعمار ،وأخذت تنشر الكاثوليكية بين الوطنيين وتسعى إلى حمايتهم من الاعتداء والتسخير.

المحاضرة الرابعة

النهضة في ايطاليا:

ظهرت النهضة الأوروبية في ايطاليا أولا وازدهرت فيها ،ومنها انتقلت إلى الدول الأوروبية الأخرى،وهنالك أسباب عدة لهذا السبق الايطالي.

أسباب ظهور النهضة في ايطاليا قبل غيرها:

١- الموقع الجغرافي:

اكتسبت شبه جزيرة ايطاليا أهمية خاصة بسبب موقعها الجغرافي،فهي تقع وسط البحر المتوسط الذي قامت على ضفافه أعرق الحضارات.وكانت المدن الايطالية هي حلقة

الوصل بين أوروبا والحوض الشرقي للبحر المتوسط وبلاد الشرق.وكانت بفضل موقعها من أقرب الأقاليم الأوروبية إلى الدولة البيزنطية.

٢- ايطاليا مهد الحضارة الرومانية:

كانت ايطاليا مهد الحضارة الرومانية ،ورغم ما تعرضت له من غزو وتدمير،فقد احتفظت بقدر كبير من تراث الحضارة الرومانية من مبان وتماثيل ومخطوطات وغيرها.واعتقد الايطاليون أنهم الأجدر بإحياء تراث أجدادهم الرومان.

٣- التأثر بثقافة العرب والشرق:

وقد سبقت الإشارة في محاضرة سابقة إلى طرق انتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا عبر ايطاليا التي كان يقوم تجارها بنقل منتجات الشرق إلى أوروبا.

٤- الرخاء الاقتصادي:

تمتعت المدن الايطالية برخاء اقتصادي بفضل سيطرتها على أسواق التجارة في حوض البحر المتوسط ونقلهم السلع الشرقية إلى أوروبا عبر ممرات جبال ألالب ،مما ادى الى ظهور الرأسمالية وظهور طبقة تمتعت بالثراء،والغريب ان اغنياء ذلك العصر تمتعوا بالذوق فعنوا بالثقافة والآثار واقتنوا التحف وشجعوا رجال العلم والفن.

٥- تشجيع الأسرات الحاكمة للآداب و الفنون:

من الخصائص التي تميزت بها الحياة السياسية في ايطاليا ، انقسام البلاد إلى دويلات وقيام حكومات فيها ، احتدم التنافس بينها على تشجيع الآداب والفنون واقتناء المخطوطات

وغيرها من مظاهر النهضة. وتميز حكام هذه الأسر بتشجيعهم للعلماء والأدباء والفنانين ، رغم استبدادهم في الحكم.

٦- تحرر المدن الايطالية من سيطرة الإقطاع:

فقد تحررت المدن الايطالية الشمالية من سيطرة الإقطاع مبكرا عن مثيلاتها من المدن الأوروبية.

٧- تمتع ايطاليا بالسلام:

تمتعت ايطاليا بالسلام لفترات طويلة قبل أن يغزوها ملك فرنسا عام ١٤٩٤م . وبذلك تهيئ للنهضة في ايطاليا المناخ المناسب ممثلا بالأمن والهدوء والرخاء.

٨- طبيعة الشعب الايطالي:

الذي اشتهر بميل فطري للحياة الفنية بكل صورها وأشكالها. وابتعد عن الحياة العسكرية إذ أوكل حكامهم إلى جنود مرتزقة المهام الحربية. وقد ساعدت العوامل السابقة على ذلك الميل للحياة بكافة أشكالها إضافة إلى جمال الطبيعة في ايطاليا. وقد أدى كل ذلك إلى تفجير طاقات عقلية وفنية اخذ الحكام بيد أصحابها ، وبرز الموهوبون والمبدعون.

٩- ايطاليا مقر البابوية:

أصبحت روما في العصور الوسطى مقر البابوية وقبلة العالم المسيحي الغربي بعد أن فقدت مركزه السياسي كعاصمة للإمبراطورية الرومانية التي جعل سقوطها من البابوية القوة الوحيدة التي التف حولها المسيحيون ؛فأصبح لايطاليا مكانة ممتازة لم تتوافر لغيرها

من البلاد الأوروبية وأكسبت هذه الزعامة الدينية الايطاليين شعورا بنوع من السيطرة الدينية على أوروبا إضافة إلى المكاسب المادية المرتبطة بوجود مقر البابوية في بلادهم.

وتحولت البابوية إلى إمارة ذات أطماع سياسية ولجأت إلى استخدام أساليب العصر لبسط سيطرتها على شبه الجزيرة الايطالية. وأصبح البابا لا يختلف عن الملوك والأمراء المعاصرين له. ورغم تفشي الفساد في بلاط البابوية فقد كان ما يثير اهتمام الايطاليين هو استمرار المقر البابوي في روما كي تتدفق على بلادهم الأموال من البلاد الأوروبية، وكان الباباوات ينفقون بعضها على النهوض بالعلم ونشر المعرفة. وكان الأدباء والفنانون يهرعون إلى بلاط البابا طمعا في كرم العطاء.

حركة إحياء الدراسات القديمة(الإنسانية) :

اشتملت حركة حركة إحياء الدراسات الإنسانية في ايطاليا على عنصرين: الدراسات اللاتينية والدراسات الإغريقية، وقامت هذه الحركة على دراسة المخطوطات القديمة.ونشط البحث أولا عن المخطوطات اللاتينية بدعم من الأسر الحاكمة في المدن الايطالية التي تنافست عليها.أما المخطوطات الإغريقية، فاتجهت الأنظار بشأنها إلى القسطنطينية، ونشأت تجارة واسعة للمخطوطات فيها قبل سقوطها بيد العثمانيين عام ١٤٥٣م. وقد وجد تقارب فكري وتبادل للزيارات العلمية بين الدولة البيزنطية والمدن الايطالية قبل سقوط القسطنطينية. ومن الذين ذهبوا من ايطاليا إلى القسطنطينية للتعمق في الدراسات الإغريقية(جيوفاني بوكاتشيو)، وكذلك سافر إلى المدن الايطالية خريزو لوراس في مهمة سياسية من إمبراطور بيزنطة، للحصول على مساعدتها ضد العثمانيين.واتصل هناك بعلماء فلورنسا، واستمر على تواصل معهم بعد عودته، وعرضوا عليه تدريس اللغة الإغريقية لديهم ؛ فوافق وعاد إلى فلورنسا.

وشعر العلماء البيزنطيون بالتقدير الذي لقيه مواطنهم حيثما حل في المدن الايطالية، وأدركوا أن هذه المدن بحاجة للمزيد، ولما سقطت القسطنطينية بيد العثمانيين هاجر كثير من العلماء إلى المدن الايطالية.

وساعد على إحياء الدراسات اللاتينية نظرة الايطاليين للغة اللاتينية على أنها لغة الحضارة الرومانية الذين هم ورثتها.وظهر عدد من العلماء في هذا المجال، منهم : بترارك(١٣٠٤- ١٣٧٤) الذي اهتم بدراسة اللغة اللاتينية القديمة وأحبها لدرجة أنه احتقر اللغة الايطالية.واعتبر اللاتينية لغة الآداب الرفيعة. ومثل بترارك في كتاباته روح العصر الحديث، فقد أظهر أسفه العميق على الانقسامات السياسية التي تمزق وطنه ايطاليا، وطالب بضرورة قيام وحدة سياسية تنشر ظلها على أنحاء شبه الجزيرة الايطالية. وتميز بترارك بشعره الغنائي، الذي جعل له مكانة ممتازة في المجال الأدبي.

ووجدت الدراسات الإنسانية(في ايطاليا) في اختراع الطباعة خير معين لها على الانتشار، التي تلقفها الايطاليون من الألمان وأدخلوها إلى بلادهم بحروف معدنية عام ١٤٦٥م، وأدخلوا عليها تحسينات كثيرة.

<u>دانتي اليجيري وأهم مؤلفاته وأرائه:</u>

يعتبر دانتي (١٢٦٥- ١٣٢١) من الشعراء العالميين دون منازع، وأحد أعلام الفكر الأوروبي الحديث، وشارك في الحياة السياسية في فلورنسا حيث ولد، التي سادها نزاع طبقي بين النبلاء والطبقة الدنيا.وقد نفي وشرد من مدينة إلى أخرى بسبب آرائه ودفاعه عن حقوق فلورنسا ضد مطامع البابوية الجامحة.وتنقسم حياة دانتي إلى ثلاثة مراحل:تميزت الأولى بإقباله على الشعر خصوصا الغزلي، وأظهر في الثانية تحمسه للعلوم الفلسفية وغيرها، وأبدى

في المرحلة الثالثة رغبة شديدة في الإصلاح السياسي والديني، وتعتبر المرحلة الأخيرة مرحلة الاتزان والنضوج الشعري، وينتمي إليها أهم أعماله الأدبية، وهما:

١ - كتابه عن الملكية

كتبه دانتي أوائل القرن الرابع عشر باللغة اللاتينية وذلك لسببين:

١- لم يقصد أن يكون الكتاب لعامة الناس ٢- لأنه لم يستطع أن يتحرر من قيود العصور الوسطى وتقاليدها

وقرر دانتي في هذا الكتاب أن الحرب آفة التقدم، وأن السلام العالمي يجب أن يكون هدف السياسيين، وذهب إلى أن مصير النكبات والشرور في الماضي والحاضر هو رجال الدين وتطلعهم إلى السلطة الدنيوية وتجميع ثروات عريضة بما لا يتفق مع رسالتهم الدينية، وأن إصلاح الكنيسة يجب أن يبدأ بنشر روح القناعة بين رجالها.وخلاصة رأيه السياسي في كتابه عن الملكية:أنه لا بد من قيام الدولة العالمية (الامبراطورية الرومانية المقدسة) لتحقيق السلام العالمي والسعادة للبشرية، وذلك بشرط ألا يستمد امبراطورها لقبه من البابا بل من الله مباشرة، ولا يخضع لسلطة البابا.

٢- كتاب الكوميديا الإلهية : (الاشهر)

وهو عبارة عن ملحمة شعرية دينية دنيوية، أو قصة رحلة خيالية زار فيها دانتي العالم الآخر أو عالم الأموات، ووصف ما شاهده هناك وصفا تجلت فيه عبقريته كشاعر وأحد علماء عصر النهضة.وقد جاءت الكوميديا بمثابة موسوعة مصغرة لشتى أنواع العلوم والمعارف من مذاهب فلسفية واتجاهات سياسية ومبادئ دينية مر بها المجتمع على توالي العصور.

وتنقسم الكوميديا إلى ثلاثة أقسام، وهي:

١- الجحيم أو جهنم : وكما صوره دانتي يمثل عالم الخطيئة والإثم والعذاب

٢- المطهر أو الأعراف: كما صوره دانتي يمثل التوبة والتطهير والأمل، والفرق بين الجحيم والمطهر، أن الآثمين في الجحيم يبقون فيه أبدا؛لأنهم ارتكبوا الخطايا في حياتهم ولم يتوبوا.أما المطهر فهو للآثمين الذين تابوا عن خطاياهم في حياتهم وكفروا عنها قبل موتهم، فعقابهم في المطهر لفترة مؤقتة، ينقلون بعدها إلى الفردوس.

٣- الفردوس : ويمثل عند دانتي الطهارة والحب والصفاء والحرية والنور الإلهي، ويضم الصالحين والأتقياء الذين اتبعوا قواعد الأخلاق والفضيلة في حياتهم الدنيوية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن دانتي اتخذ من الشاعر اللاتيني فرجليوس دليلا ومرشدا له في الجحيم والمطهر.

وكانت مهمة فرجليوس أن يفسر لدانتي أثناء رحلته الخيالية الأشياء الغامضة التي يلاقيها ويحميه من الأخطار التي تواجهه. واتخذ دانتي من محبوبته(بياتريتشي) دليلا ومرشدا له في الفردوس، لكي تشرح له ما خفي من أسرار اللّه.ولم يتخذ من فرجيليوس دليلا له في الفردوس، لأنه شاعر وثني أي خارج على المسيحية، ولا يدخل الفردوس إلا المسيحيين الصادقين في إتباع تعاليم الكاثوليكية.

الكوميديا الإلهية مرآه لعصر دانتي :

لقد مزج دانتي في كتابه بين عصرين حيث تأثر بتقاليد العصور الوسطى، ويتضح ذلك في عدة مسائل، منها:

١- المزج بين الأساطير والتاريخ

٢- أن الكوميديا قصيدة كبرى

٣- تقسيم دانتي للناس إلى ثلاثة أقسام متماشيا مع نظرة رجال الدين في العصور الوسطى

أما مظاهر خروج دانتي على تقاليد العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، فيمكن ملاحظتها في أمرين:

١- كتب دانتي الكوميديا باللغة الايطالية

٢- خرج دانتي على تعاليم الكنيسة في العصور الوسطى حينما وضع بعض الناس في المطهر أو الفردوس، ومكانهم الطبيعي من وجهة نظر الكنيسة هو الجحيم.

النهضة الفنية (في ايطاليا):

شملت النهضة في ايطاليا الفنون الجميلة من تصوير ونحت ونقش وعمارة، وبرز مجموعة من النوابغ في كل مجال من المجالات الفنية.وكان الايطاليون أصحاب الفضل الأول في ابتكار الفن الحديث، وبخاصة فني النحت والتصوير. وتجلت مظاهر عصر النهضة في مجال الفنون الجميلة.وكانت فلورنسا هي مهد الحركة الفنية في ايطاليا خلال عصر النهضة، بفضل أسرة المديتشي الحاكمة، التي كان للفن في حياتها دور كبير.وقد طبع جميع أفراد هذه الأسرة على حب الفن وتذوقه، إضافة لرعايتهم للمشتغلين بالفنون بأنواعها.

وقامت النهضة الفنية في ايطاليا على أساس تقليد ومحاكاة الفنون القديمة ونبذ قيود العصور الوسطى وتقاليدها المتزمتة. وكان من نتيجة حركة الإحياء الكلاسيكية، كشف النقاب عن التماثيل والآثار الرومانية، التي تمثلت فيها القوة والجمال، مما بهر عقول الفنانين

الايطاليين؛فأقبلوا على دراستها.وكان ضعف الأثر الديني من أهم مظاهر تطور فن التصوير في عصر النهضة.وبتراجع اللاهوت وتقدم النزعة الإنسانية، أسقط الفنانون بشجاعة كل الأقنعة التي كانت تحجب أبصارهم، وأمعنوا النظر في مشاهد الطبيعة والزهور والورود.وأدخلوا إلى جانب الموضوعات الدينية موضوعات جديدة، فصار الوجود كله هو المجال الذي يجول فيه الفنان.وتمثل طابع الفن الدنيوي في روما أكثر من أي مكان آخر.

- أشهر عباقرة عصر النهضة:

وبلغ فن التصوير والرسم الذروة في الإبداع الفني خلال عصر النهضة، واقترن باستعمال الألوان الزيتية.وبرز في مجال التصوير والرسم مجموعة من العباقرة، منهم على سبيل المثال:

ساندرو بوتشللي(١٤٤٧- ١٥١٠) كان من أكثر مصوري عصر النهضة شاعرية، وامتازت صوره بالرقة والجمال، وتتصف خطوطه بالحركة والحيوية، واعتنى برسم الطبيعة وما فيها من أزهار، ومن أروع أعماله صورة(الربيع) وصورة (تتويج العذراء).والحقيقة أن ساندرو يمثل النهضة الفنية والأدبية في في مطلع القرن السادس عشر، من حيث انتعاشه الفكري الذي ظهر في حياته كمصور ونحات وشاعر وموسيقي ومهندس، ومن حيث تطلعه إلى المعرفة الشاملة.

ليوناردو دافنشي(١٤٥٢- ١٥١٩) تنوعت مجالات اهتمامه بين الرسم والنحت والمعمار والهندسة والأدب والموسيقى والشعر والجيولوجيا.ولد في فلورنسا وفيها درس الفن، ثم التحق عام ١٤٨٣ بوظيفة لدى حاكم ميلان. ومن أشهر أعماله صورة(العشاء الأخير) على حائط غرفة الطعام بدير الرهبان الدومنيكان في ميلان، وصورها بألوان الزيت، وبذلك كان أول من مارس التصوير الزيتي على الجدران في ايطاليا.ويظهر السيد المسيح في صورة(العشاء

الأخير) جالسا وسط مائدة كبيرة مستطيلة في غرفة الطعام بين حواريه الذين يتناولون معه الطعام للمرة الأخيرة.

ومن أعماله أيضا صورة (الموناليزا) أو(الجوكوندا)، وتظهر فيها سيدة ايطالية من نابولي تدعى موناليزا، تميزت في الصورة ليس بجمالها، لكن بابتسامتها الرقيقة الغامضة.

وكان ليوناردو إلى جانب عمله في التصوير المهندس الأول في ميلان الذي يعمل على تصميم القنوات ومجاري المياه. ولم يلجأ ليوناردو في إنتاجه الفني إلى تقليد ومحاكاة القديم مثل غيره من فناني عصره.

رافائلو(١٤٨٣- ١٥٢٠) من عمالقة الفن والتصوير في العالم، تأثر بليوناردو في مجال توزع الضوء والظل في التصوير، وتأثر بمايكل أنجلو في دراسة الجسد، لكنه تفوق عليهما في مجال توافق الألوان، وفاق أساتذته في الابتكار والإبداع.واختلف عنهم بأنه لم يكن واقعيا برسم نماذجه كما هي في الطبيعة، بل كان يرسم الصورة الذهنية لديه. ومن أعماله:صورة (صلب المسيح) وصورة (تتويج العذراء) وغيرها.

مايكل أنجلو(١٤٧٥- ١٥٦٤) من أعظم النحاتين والمصورين، استمد فنه من عناصر متنوعة، مثل :الروح الدينية وتراث الاغريق ومن وطنيته وحبه لايطاليا. شغف بجمال الطبيعة والحضارة ، واتصل بالأوساط الأدبية في بولونيا، وتنقل بين المدن الايطالية ، واستقر منذ عام ١٤٩٦ في روما. ومن أشهر أعماله صورة(العذراء والطفل المسيح).وصورة(العائلة المقدسة)، ومن أعماله في النحت تمثال (باخوس) وغيرها كثير.

ميكيافلي وأفكاره السياسية :

أصاب ميكيافلي(١٤٦٩- ١٥٢٧) شهرة واسعة في عالم الفكر السياسي الحديث،ولا زال مذهبه السياسي يعرف باسمه(الميكيافليه) التي في معظمها مرتبطة بأشهر كتبه وهو:(الأمير) وخلاصته أن سياسة الحاكم تقوم على مبدأ(الغاية تبرر الوسيلة) في سبيل مصلحة بلاده ، أي أنه متحرر في أعماله من كافة القيود الأخلاقية من أجل مصلحة بلاده.

وارتبطت حياة ميكيافلي السياسية بحياة جمهورية فلورنسا التي ولد فيها،والتي مرت بثلاثة أدوار:

١- شباب ميكيافلي(١٤٦٩- ١٤٩٤) حيث كانت فلورنسا في أوج عظمتها على يد لورنتزو العظيم من أسرة المديتشي.

٢- حياته العملية(الوظيفية)(١٤٩٤- ١٥١٢) عندما أصبحت فلورنسا جمهورية إلى أن سقطت من جديد بيد أسرة المديتشي

٣- دور الإنتاج الفكري والكتابة(١٥١٢- ١٥٢٧) وسقطت أسرة المديتشي عام ١٥٢٧

وبينما كان ميكيافلي في خدمة الجمهورية الفلورنسية قام ببعثات أو سفارات سياسية إلى روما وميلان وفرنسا.

وكان ضعف ايطاليا العسكري وتفككها وتعرضها للغزو الأجنبي من الأمور التي أزعجت ميكيافلي،وجعلته :يفكر جديا في وسائل تخليص بلاده منها.واعتقد أن أسباب ضعف ايطاليا تتلخص في أمرين

١- الانقسام السياسي أو تفكك ايطاليا. هذا في عصر الدولة القومية في أوروبا الغربية مثل فرنسا وانجلترا. وبخصوص تفكك ايطاليا وانقسامها ، حمل ميكيافلي الكنيسة أو البابوية مسؤولية ذلك.

٢- الضعف العسكري، ويرجع في نظر ميكيافلي إلى اهتمام الايطاليين بالفلسفة والفنون واشتغالهم بالتجارة والمال واستعانتهم بالجنود المرتزقة لكي يقاتلوا نيابة عنهم، وذلك في عصر ظهرت فيه الجيوش الوطنية المسلحة بالأسلحة الحديثة.

واعتقد ميكيافلي أن العلاج لأحوال ايطاليا يكمن في أمرين:

١- إضعاف البابوية وهذه مهمة يستطيع القيام بها أمير قوي

٢- إحياء الروح العسكرية في الجيش الايطالي وإنشاء جيش وطني

كتب ميكيافلي أربعة كتب وهي الأمير، الأحاديث(المقالات)، تاريخ فلورنسا، وفن الحرب وفي كتاب فن الحرب حمل ميكيافلي بشدة على استخدام الجنود المرتزقة،وعلى فكرة الاستعانة بالنجدات الأجنبية.

واعتقد ميكيافلي أن ثمة عوامل من شأنها الحفاظ على كيان الدولة وهي:

١- الالتجاء إلى الحرب من وقت لآخر.

٢- إصدار قوانين صالحة تكفل ضمان حياة الدولة، ولا يقل في الأهمية عنها إتباع الحكام والأمراء لها.

٣- مراعاة أحكام الدين، وليس معنى التدين عنده الاعتقاد بقدرة الخالق بتخليص المجتمع من السوء من غير أن يبذل الإفراد والحاكم كل جهد ممكن.

٤- استخدام الحاكم الوسائل الشديدة القاسية ما دامت توصله إلى إصلاح المجتمع وانتشاله من الانحلال.

أما فيما يتعلق بايطاليا ذاتها، فقد اعتقد أن مشكلتها الرئيسية تكمن في كيفية إقامة دولة ناجحة بها وسط المجتمع الايطالي الفاسد وقتذاك، وتمثل علاجه متمشيا مع أرائه السابقة وهو:

١- تأسيس جيش وطني في حكومة أمير له القدرة على تنظيم وقيادة جنوده.

٢- استخدام هذا الجيش في الدفاع عن البلاد وفي تحقيق وحدتها القومية، وقص أجنحة البابوية.

٣- أن يترك الأمير أو الحاكم عند موته تراثا طيبا من القوانين الصالحة والأنظمة المدنية.

والواقع أن الأمير الذي يتحدث عنه ميكيافلي، هو التجسيد الكامل للفكر الثاقب وكبح النفس، والذي يستغل فضائله ورذائله على حد سواء.

قسم ميكيافلي كتاب الأمير (مناقشة٦) إلى ٢٦ فصلا، بسط فيها أرائه ومعتقداته التي تعرف بالميكيافلية، كما طلب في الفصل الأخير إلى المديتشي أن ينتهزوا الفرص لتوطيد سلطتهم ولدعوة الايطاليين للقتال وطرد الأجانب، ثم حكم البلاد كمحررين لايطاليا .ولم يبد لميكيافلي أو لمعاصريه أي تناقض أو شذوذ بين الأهداف النبيلة المتمثلة في الدعوة للوحدة الايطالية، وبين الأساليب والوسائل الشيطانية التي بسطها والتي ترتكز على مبادئ أخلاقية قيمة، لان الغرض من هذه الأساليب و الوسائل الشيطانية، إنما هو تحقيق الأهداف النبيلة.

وكان ميكيافلي كما هو واضح من كتابه(الأحاديث)متحمسا للحرية والحكم الجمهوري،واعتبر صوت الشعب من صوت الله،وفضل الجمهورية على الملكية؛لأن النظام الجمهوري يسمح بظهور العبقريات الخالدة،التي لا ينقطع ظهورها في الجمهوريات ما دامت الأنظمة الدستورية والحريات مكفولة.

ملاحظة الدكتور: (المهم معرفة المشهورين وفي أي مجال وتحديد لمن يتبعون من دولة)

المحاضرة الخامسة

النهضة خارج ايطاليا:

مقدمة:

أخذت مظاهر النهضة الايطالية في التراجع بعد منتصف القرن السادس عشر، وذلك لسببين هما:

أولا: الحروب الايطالية التي كانت مظهرا للتنافس الدولي بين فرنسا واسبانيا وتطلعهما للتوسع على حساب ايطاليا المجزأة .ولذلك كانت شبه الجزيرة الايطالية ميدان هذه الحروب في معظم أدوارها

ثانيا: حركة الإصلاح الديني بزعامة مارتن لوثر، التي نقم عليها البابا‌وات، واعتبروها من نتائج حركة إحياء العلوم، لذلك حاربوا الحركة الإنسانية.

وتسربت روح النهضة الايطالية قبل أن تختفي إلى بقية أوروبا ، وذلك على يد الطلاب الذين درسوا في الأكاديميات الايطالية.

النهضة في ألمانيا:

اتجهت النهضة في ألمانيا اتجاها دينيا علميا؛لأن الألمان لم يقنعوا بمجرد التقليد والمحاكاة كم فعل الايطاليون، بل عكفوا على الدراسات الدينية والعلمية معا بدلا من الاقتصار على الدراسات الإنسانية بطابعها الوثني.

وتميز النصف الثاني من القرن الخامس عشر في ألمانيا بتقدم ملحوظ في الثقافة والتعليم والتربية، كما تميز بنمو سلطان أمرائها المحليين على نحو ما حدث في ايطاليا. وشهد ذلك

العصر إنشاء ثماني أكاديميات ألمانية واختراع فن الطباعة(مناقشة ٧) الذي فتح للعالم آفاقا جديدة، والذي يرجع الفضل فيه إلى يوحنا جوتنبرج من مدينة مينز على الراين.ويعزى إلى الألمان الفضل في انتشار آلة الطباعة في أوروبا، حيث عرفت الطباعة بأنها الفن الألماني.وقصد الطباعون وبائعون الكتب الألمان كل مكان بحثا عن العملاء.وفي عام ١٥٠٠ كان لهم أكثر من مائة مطبعة في ايطاليا ولا أقل من ثلاثمائة مطبعة في اسبانيا.ولا شك أن ما قام به الرواد الأوائل من الألمان في ميدان الطباعة وتجليد الكتب ليعد من مفاخر أوروبا.

وساعد الكتاب المطبوع في نشر الحركات الفكرية والنقدية في القرن السادس عشر، ونتج عن ذلك إيقاظ اهتمام جماهير الشعب بالعقيدة المسيحية، وقراءة الكتب الدينية ومناقشتها.

وبرز في الحياة الفكرية ألألمانية مجموعة من العلماء ومن أهمهم:

الكاردينال كوزانوس(١٤٠١- ١٤٦٤) الذي درس الرياضيات وقانون الكنيسة في جامعة بادوا بايطاليا، حيث خالط العلماء.وامتاز كوزانوس بصدق حماسته في الهجوم على فساد أخلاق رجال الدين الألمان والخرافات الوثنية.كما امتاز بعدم اعتقاده بضرورة اللجوء للقوة المسلحة للقضاء على الروح الوثنية، وإيمانه بسلطان المعرفة وإحكام العقل وفصاحة اللسان، باعتبارها لا غنى عنها في الشؤون الانسانية.

يوحنا روخلن، الذي تخصص في الدراسات الإغريقية واللاتينية في روما وغيرها من مدن ايطاليا وفي باريس وغيرها، وجاهد في سبيل نشرها بين مواطنيه، وتعمق في دراسة العبرية. وتجادل مع زميل له يدعى يوحنا بلفر كورن الذي هاجم الدراسات الإنسانية، ووقف الرأي العام الألماني إلى جانب روخلن، مما كفل له الانتصار على زميله.ومن خلال هذا الجدل أدرك

الشعب الألماني أهمية الدراسات الإنسانية في شرح الكتاب المقدس،وتفهم المسيحية على أساس سليم.

وحدث في ألمانيا ارتباط وثيق بين الدراسات الإنسانية والرغبة في الإصلاح الديني،واتخذ دعاة الإصلاح الديني من الدراسات الإنسانية وسيلة لتحقيق رغبتهم بعد أن كان رجال الدين يعارضون هذه الدراسات من قبل.وترتب على هذا الوضع عدة نتائج،فقد استهدفت الدراسات الإنسانية في ألمانيا خدمة المسيحية،وخلت كتابات أعلام النهضة من النزعة الوثنية ،وغدت النهضة الألمانية دينية فلسفية تتميز بطابع الجدية البعيدة عن تقديس الجمال.

النهضة في فرنسا:

كانت الدراسات الكلاسيكية مزدهرة دائما في فرنسا بين كتاب المحكمة الملكية، ونشأت صلات بينهم وبين الإنسانيين في ايطاليا .ورغم عدم تطور حركة انسانية ناضجة في فرنسا،فإن التأثير الطويل للدراسات الكلاسيكية في فرنسا،وقربها من ايطاليا،أثار الاهتمام ببعض الكتب والكتاب القدماء.مثل كتاب التاريخ الروماني لليفيوس وكتابي الشيخوخة والصداقة لشيشرون وغيرها،التي أضحت متاحة لرجال البلاط باللغة الفرنسية.

وبانتهاء حرب المائة عام ضد انجلترا عام ١٤٥٣ وامتداد الحكم المركزي إلى كل مقاطعات البلاد؛من العوامل التي ساعدت حركة النهضة في فرنسا،وبتشجيع من ملوكها وفد على جامعة باريس عدد من العلماء والإنسانيين الايطاليين.

وبرز من أعلام النهضة الفرنسية في القرن الخامس عشر،كل من الشاعر والكاتب الروماني أنطوان دي لاسال (١٣٩٠- ١٤٦٤) وهو من رواد القصة الحديثة ، والمؤرخ فيليب دي كومين (١٤٤٥- ١٥٠٩) والذي تعتبر مذكراته عن عهدي لويس الحادي عشر وشارل الثامن

اهم ما كتب باللغة الفرنسية في القرن الخامس عشر. وغيرهم عدد كبير من أعلام الفكر في فرنسا.

ومضى ملوك فرنسا يبدون إعجابهم العميق بالنهضة الايطالية، فادخلوا في بلاطهم الكثير من التقاليد والمظاهر التي كان معمولا بها عند الأمراء الايطاليين ، ثم أنشأوا الأكاديميات وغيرها من المؤسسات العلمية للعناية بالدراسات الإنسانية وغيرها.

وتميز العلماء الفرنسيون على الايطاليين في مجال الدراسات الإنسانية فقد نظر الفرنسيون إلى الآثار الأدبية والفنية بتقدير، ولكنهم احتفظوا في نفس الوقت بشخصيتهم الأدبية والفنية وبأسلوبهم في التفكير والتعبير. وكان إنتاجهم مزجا بين القديم وبين الجديد الذي يتمثل بخصائصهم الذاتية. ويتضح هذا الفارق بين الإنتاج الايطالي والفرنسي في قطاع الادب والبناء والنحت.

من أعلام النهضة الأدبية في فرنسا:

فرانسوا رابليه(١٥٠٠- ١٥٥٣): الذي قضى حياته بين الرهبنة والعلمانية، فتعلم الطب وأصبح أستاذا في علم التشريح، وكان أول من خالف أمر البابا وشرح جثة إنسان. ودرس إلى جانب الطب اللغة اليونانية والقانون الروماني، ونشر أبحاثه باللغة الفرنسية في أسلوب مبسط ممتع. وكانت له رؤيا في طرق التربية والتعليم والتربية الرياضية وغيرها من المجالات.

وميشيل دي مونتين(١٥٣٣- ١٥٩٢): اهتم بدراسة اللغات القديمة، واحترم من التراث القديم ما يتفق مع الروح الفرنسية. وتمتاز كتاباته بالفرنسية برقة الأسلوب ومهارة التحليل ودراسة الشخصيات، لذا كان موضوع دراسته هو (الانسان) بكل نقائصه وميوله وضعفه. وكان

أهم ما توصل إليه أن الإنسان تفوته دائما حقيقة الأشياء، ويخضع فقط للآراء أو الصورة التي يوجدها عن هذه الأشياء.

النهضة في انجلترا:

شهد القرن الخامس عشر في انجلترا - باستثناء السنوات الاخيرة منه - ركودا في الحياة الفكرية، بسبب انشغال البلاد بالحروب الخارجية و الداخلية، وبسبب استخدام الملكية وسائل العنف ضد الحرية الفكرية، خصوصا في جامعة اكسفورد وهي وقتذاك اعظم الجامعات الاوروبية نفوذا وحرية فكرية. ومن الذين اضطهدوا في هذا السبيل أتباع يوحنا ويكلف(١٣٢٥- ١٣٨٤) وهو من علماء اللاهوت، قام بالتدريس في أكسفورد، لكنه طرد منها عام ١٣٨٢م. وقد دفعته فضائح كنيسة روما إلى إصدار سلسلة طويلة من المقالات والمواعظ جعلته من طلائع حرية الفكر في انجلترا. ونادى ويكلف بان تكون المواعظ الدينية والكتب المقدسة باللغة الانجليزية وليس باللاتينية، وان تستمد المواعظ من الكتب المقدسة لا غيرها من المصادر.

وكان مركز الدراسات القديمة في انجلترا هو أكسفورد، ولذا عرف المشتغلون بها بمصلحي أكسفورد واغلبهم زاروا ايطاليا وتأثروا بالحركة الإنسانية هناك. وقد اهتم مصلحو أكسفورد بدراسة الآداب القديمة ونادوا بضرورة إطلاق الفكر الإنساني من القيود التي تفرضها الكنيسة على حرية البحث العلمي والفكر. وكان مصلحو أكسفورد من أعمدة الحركة الإنسانية التي ازدهرت في القرن السادس عشر في أوروبا.

وكان من أعلام مصلحي أكسفورد:

١- جون كوليت (١٤٦٦- ١٥١٩) وهو يمثل الميول الدينية الجديدة والآراء الجديدة في التربية العقلية. وكان كوليت من أسرة طيبة درس في أكسفورد وزار ايطاليا وفرنسا، وتأثر بحركة الإنسانيين الايطاليين، فتعمق في دراسة التراث القديم. وفي روما راقب عن كثب أعمال البابوية العلمانية في عهد البابا اسكندر السادس (١٤٩٢- ١٥٠٣). وفي عامي ١٤٩٧و١٤٩٨م حاضر كوليت في جامعة أكسفورد وكان موضوع محاضراته (رسائل القديس بولس)، فكان ذلك بداية عهد جديد في تاريخ تفسير الكتاب المقدس. ويعتمد هذا التفسير على الكتاب المقدس وكتابات الآباء الأولين فقط، وترك المناقشة والجدل جانبا لعلماء اللاهوت وحدهم.

وكان كوليت يحتم معرفة اليونانية القديمة والعبرية حتى يتمكن الباحث من فهم موضوعات الكتاب المقدس، كما كان يحتم معرفة التاريخ لتفهم روح الكتاب المقدس نفسه. وحمل بشدة على مساوئ الكنيسة في عصره. ولم يوافق كوليت مطلقا على مسألة عدم زواج القساوسة (الرهبنة)، او الاعتراف الشفوي مما سبب حملة ضده. ولكن كوليت على الرغم من هذه الآراء التقدمية لم يكن يدع إلى الانفصال عن روما ونبذ سلطة البابا. وأسس كوليت مدرسة سانت بول، وادخل في برامجها الدراسات الإنسانية. وقد أصبحت المدرسة نموذجا للمدارس المصلحة التي تتابع إنشاؤها في لندن وضواحيها.

٢- السير توماس مور(١٤٧٨- ١٥٣٥): وهو يمثل الفكر السياسي الجديد.

كان من ابرز رجال عصره وأكثرهم علما ونزاهة وإنسانية، وعاش حياة حافلة بالعمل الجاد، وحقق نجاحا كبيرا في أكثر من ميدان، واشتهر بحبه للفقراء .و المظلومين وكل صاحب قضية عادلة. كتب مور الكثير من أعماله باللغة اللاتينية واستخدم اللغة الانجليزية أيضا. وكانت له محاولات ناجحة في الشعر والتاريخ والجدل الديني والسياسة. ودعا مور الى

طبع نسخة الكتاب المقدس اليونانية (العهد الجديد) ونشرها. ولم يرض عن حالة الجهل والميل إلى الحياة الدنيوية المتفشية بين رجال الكنيسة ،وهاجم فساد رجال الدين عموما ،وأراد أن يتم إصلاح الكنيسة من الداخل. وعارض مور الحروب بشكل عام، خصوصا حروب ملوك انجلترا بهدف التوسع في فرنسا.

اختير مور عام ١٥١٥ للذهاب في بعثة دبلوماسية واقتصادية إلى الأراضي المنخفضة ،لتسوية بعض المسائل الهامة بين انجلترا وتلك البلاد. وذلك لما عرف عنه من قدرة على الحديث والتفاوض.وأثناء إقامته في مدينة أنتورب كمبعوث للملك هنري الثامن، نشأت في ذهنه فكرة وضع كتاب يصور فيه رحلة خيالية ممتعة إلى جزيرة خيالية.ووضع في الكتاب خلاصة آرائه في الحكم والسياسة والاقتصاد والاجتماع والدين.واختار كلمة (يوتوبيا) عنوانا لهذا الكتاب ، وهي كلمة لاتينية معناها شيء لا وجود له، أو كما ترجمها البعض(في عالم الكمال).وفكرة الكتاب مقتبسة من (جمهورية أفلاطون).وكان هدف مور من كتابه إظهار مساوئ الكنيسة التي انتشرت في عصره، ونقدها مع مقابلتها بالمثل العليا التي هداه تفكيره إليها.

آراء مور حسبما جاء في كتابه اليوتوبيا:

١- الاجتماعية : برزت فكرة العطف الإنساني على الطبقات الكادحة في المجتمع، وكذلك الإشفاق على المجتمع من الرذائل المنتشرة فيه عموما - خصوصا في انجلترا - .

٢- الاقتصادية: اهتم بمسألة تحويل المزارع إلى مراعي، واحتكار صناعة الصوف، وارتفاع أسعار المواد الغذائية، وزيادة البطالة. ودعا مور إلى اشتراك كل فرد في المجتمع في العمل، والمساواة بين الأغنياء والفقراء وجميع طبقات المجتمع .والعمل فرض على كل مواطن

في اليوتوبيا ،والدولة تحدد ساعات العمل يوميا بست ساعات؛ ثلاثة في الصباح، يليها ساعتان للغداء والراحة ،ثم ثلاث ساعات بعدها. وامتازت اليوتوبيا بنقد فكرة التملك أو الملكية ، والاستعاضة عنها بوصف خيالي يكون التملك فيها شائعا.

٣- الدينية : دعا مور إلى التسامح ، فحرية العقيدة مكفولة تماما في اليوتوبيا ، ولذلك توجد عدة ديانات في هذه الجزيرة (الخيالية)، ولكن الأغلبية من الأهالي تعتقد بوجود كائن أعظم واحد. ولا ينبغي معارضة أي إنسان لسبب ديني، فالكل أحرار في اختيار دينهم، ولهم أن يستخدموا وسائل الإقناع والحجة في سبيل نشر ديانتهم، وحرموا فقط من استخدام الشدة والقسوة. ولا يوجد في جزيرة مور من يتخذ الدين مهنة، لان السكان جميعا يعتقدون أن السعادة في الحياة الآخرة مربوطة بمسألة واحدة هي أن يقضي الإنسان عمره في عمل مثمر شريف.

ومبدأ التسامح الذي نادى به مور كان يتعارض مع الفكرة السائدة في عصره، وهي ضرورة إزالة الانقسام الديني حتى لا يتبعه انقسام سياسي.

٤- السياسية : قدم مور صورا للحكام الفاسدين. وعرض لبعض المسائل السياسية مثل: عدم احترام المعاهدات الدولية واستخدام المرتزقة كجند وجر الشعوب إلى حروب لا جدوى منها. وعكس مور عيوب الحكم المطلق والحكومات الفاسدة والطرق غير المشروعة لكسب المال مثل تعطيل بعض القوانين وإحياء البعض الآخر.

وشهدت انجلترا نهضة أدبية مبتكرة في النصف الثاني من القرن السادس عشر. حيث وصل الادب الانجليزي إلى ذروته بشكل خاص، ففي الدراما دبت الحياة فيها وأخذت طريقها إلى الأمام نحو الخلود. ففي عام ١٥٨٧م كتب كريستوفر مارلو (١٥٦٣- ١٥٩٣) اول وأعظم

تراجيدياته الا وهي (فوست) وتلاه وليم شكسبير (١٥٦٤- ١٦١٦) بتراجيدياته وكوميدياته ومسرحياته التاريخية، ومنها (روميو وجولييت) و(هملت).

النهضة في شبه جزيرة أيبيريا:

انتقلت بذور الحركة الإنسانية إلى شبه جزيرة أيبيريا عن طريق عدد من الطلاب الذين درسوا في ايطاليا في القرن الخامس عشر(مثل الدول الاخرى)،لكن هذه الحركة لم تعمر في أسبانيا لانتشار الرجعية فيها منذ عام ١٥٣٠ في عهد شارل الخامس،كنتيجة للخوف من بوادر حركة الإصلاح الديني . وكانت مراكز الثقافة موزعة في جامعات اشبيلية ولشبونة وغيرها ،واعتمدت في بقائها على مناصرة الأمراء ضد رجال الدين.

ورغم ذلك كله فقد ظهر أثر حركة إحياء العلوم والمعارف في شبه جزيرة أيبيريا في استخدام اللغات القومية في مجال الأدب و المسرح ، فكتب ميجويل دي سرفانتس (١٥٤٧-١٦١٦) عددا كبيرا ممن الكوميديات باللغة الاسبانية، إلا ان اشهر أعماله على الاطلاق هي قصة (دون كيشوت دي لامانشا)، وفيها ينقد مساوئ المجتمع في عصره ويسخر من فروسية العصور الوسطى المتدهورة.

وتصور هذه القصة مغامرات (دون كيشوت) وهو فارس جوال بدأ حياته فلاحا ثم حفزته قصص الفروسية الى محاولة احياء عهد هؤلاء الابطال. ولما كان لا بد للفارس من أسلحة ومن جواد أصيل، فقد بحث في زوايا منزله المتواضع، فعثر على أسلحة قديمة بمخزن غلاله وأصلح ما بها من عيوب،ورفع حصانه من مرتبة خيل الفلاحة إلى جياد الفرسان. وبدأ دون كيشوت مغامراته بحفل تنصيبه فارسا الذي انتهى إلى فندق بالريف ، وخرج دون كيشوت من الفندق فارسا أصيلا، وبقلبه إيمانا ثابت بما خلقته من اجله الأقدار، وهو إصلاح ما في العالم من شرور. واستمر دون كيشوت في مغامراته ، وكل فشل يغريه بمغامرة جديدة،

وعزمه ثابت لا ينال منه شيء حتى وافاه الأجل المحتوم، بعد أن علم أن القتال لخير البشر قتال مع طواحين الهواء. وتأثر سرفانتس في قصته بالثقافة العربية الأندلسية.

وعكست الحركة المسرحية في شبه جزيرة أيبيريا جانبا من مظاهر النهضة في البلاد، وظهر عدد كبير من كتاب الدراما المسرحيين الأسبان . ولعل أعظم كاتب مسرحي درامي في عصره هو البرتغالي جيل فيشينت(١٤٦٠- ١٥٣٦) الذي كتب ٤٤ مسرحية بلغات متعددة. وكانت أعماله الدرامية الأولى دينية، ولكن منذ عام ١٥٠٨ فصاعدا اتجه إلى كتابة مسرحيات ذات طابع علماني وهزلي.

وإلى جانب الدراسات القديمة والأدب القومي والمسرحي ،اقترنت النهضة في ايبيريا بالاهتمام بالملاحة وتقدم صناعة بناء السفن، فقد تلقن البرتغاليون فنون البحار عن الجنويين ، وتعلموا بناء السفن الكبيرة والسير بها في المحيطات (هام : لانهم رواد الكشوف الجغرافية) ، وأمدتهم اسفارهم المتكررة الى جزر كناريا وسياحاتهم الدائبة في البحث عن ساحل غانه، بجميع المؤهلات البحرية اللازمة للطواف حول افريقية وتحقيق الهدف العظيم الذي جعل أوروبا على صلة مباشرة بالمحيط الهندي.

المحاضرة السادسة (مهمة)

حركة الإصلاح الديني:

مقدمة:

جاءت حركة الإصلاح الديني في أوروبا تعبير عن رغبة الناس في التخلص من سلطان البابا الزمني وللقضاء على امتيازات رجال الدين التي لا تتناسب مع تعاليم المسيحية التي بشر بها السيد المسيح،والتي يرغبون بالعودة إليها بوصفها أكثر روحانية وبساطة. فقد كان إنسان العصور الحديثة في أوروبا الذي صنع الثورة الدينية،بصورة عامة متدينا ،لكن بعد اطلاعه على النصوص الأصلية للكتاب المقدس،شعر أنه أقرب للمسيحية الأصلية،وأنه صار بإمكانه أن يقيم اتصالا بالله دون واسطة الرهبان. وخلقت الروح العلمية والنقدية عند الناس ميلا للنقاش والتساؤل وعدم التسليم بما تقوله الكنيسة دون قيد أو شرط.

وفشلت محاولات المطالبة بأن تصلح الكنيسة الكاثوليكية نفسها ،والتي كانت على نطاق ضيق،وكان أبرز المطالبين بها؛ جون ويكليف(١٣٣٠- ١٣٨٤) في انجلترا ، ويوحنا هوس(١٣٧٠- ١٤٥٠) في بوهيميا ، وكان آخر هذه المحاولات المجمع الذي عقد عام ١٤٣١ في مدينة بال؛ إلا أن هذه المحاولات فشلت بسبب تمسك الباباوات بسلطانهم داخل الكنيسة،ولرفضهم أية مقررات من جانب المجالس الكنسية. وأدى انتشار الفساد الأخلاقي في عصر النهضة،خصوصا لدى فئة كبيرة من رجال الدين إلى ظهور تدخل خارجي لإصلاح الكنيسة الكاثوليكية،وكان من رواد هذه الحركة الراهب مارتن لوثر في ألمانيا.

:مارتن لوثر(١٤٨٣- ١٥٤٦) : تابع

مارتن لوثر وبدء حركة الإصلاح الديني:

ولد عام ١٤٨٣ في إحدى قرى مقاطعة سكسونيا بألمانيا ، انتظم في سلك الرهبنة عام ١٥٠٥ ودخل أحد أديرة القديس اغسطينوس حيث تفرغ ثلاث سنوات للتعبد والزهد رغبة في التخلص من خطاياه.وفي عام ١٥٠٨ بدأ يدرس الفلسفة واللاهوت في جامعة وتبرغ. وكان لوثر لشدة تدينه يعيش دوما في شك وخوف من ألا يغفر الله خطاياه،وازدادت مخاوفه حين زار روما عام ١٥١٠ وتعرف إلى ما فيها من مفاسد ،ورافقته شكوكه إلى عام له ١٥١٥ حينما وصل إلى الهدوء الذاتي وتوصل إلى عقيدة خاصة به وهي أن : الايمان هو الوسيلة الوحيدة للخلاص؛فالإيمان هو شرط الغفران والغفران هو الثواب على الايمان ،وهما معا كل ما يهم في الحياة المظلمة للإنسان الذي قدر له مصيره.

وقد توصل إلى هذه العقيدة من خلال دراسته للكتاب المقدس ،ومن تعاليم القديس اغسطين.وبمناسبة حملة (يوحنا تتزل) عام ١٥١٧ لبيع صكوك الغفران في ألمانيا لحساب الباباوات،تدخل لوثر وعارض هذه الصكوك وطالب بإصلاح الكنيسة.

وفكرة الغفران باعتبارها وسيلة للتكفير عن الذنوب والخطايا ، يسبقها اعتراف وتوبة وتكفير بالصلاة والصوم،وبمرور السنوات أصبح الباباوات يستبدلون التكفير بأمور مادية ، وأصبح بإمكان الناس أن يزيلوا أية خطيئة سواء كانت للأحياء أو الأموات عن طريق دفع مبلغ من المال للكنيسة.وتجاهلت الكنيسة الشروط الأخرى للغفران كالتوبة والاعتراف ؛وأصبح الغفران عملية تجارية تدر على الكنيسة أموالا طائلة.وقد استاء الألمان كثيرا من عملية بيع صكوك الغفران،خاصة وأنهم رأوا فيها وسيلة لأخذ أموالهم إلى روما.

لوثر وصكوك الغفران:

اعتقد لوثر بأن الغفران لا يأتي إلا عن طريق الإيمان برحمة الله، لذلك استنكر بشدة عملية بيع صكوك الغفران في ألمانيا، واستغل فرصة اجتماع الناس في كنيسة بلدة وتنبرغ عام ١٥١٧، وعلق على باب الكنيسة احتجاجا طويلا من ٩٥ بندا فند فيها حججه على بيع صكوك الغفران، وكان ذلك بداية الثورة الإصلاحية في ألمانيا، وبداية صراع لوثر مع الكنيسة الكاثوليكية.

وقد تناقش لوثر مرارا مع تتزل وغيره من رجال الكنيسة الكاثوليكية، وكان يصر دوما على أن الكتاب المقدس وحده المصدر الأساسي لتفسير العقائد المسيحية . وفي عام ١٥١٩ وجه الدعوة للأمراء الألمان طالبا منهم أن يتزعموا حركة الإصلاح في بلادهم. واعتبر لوثر أن على رجال الدين الخضوع للسلطة المدنية، وأنه ليس للبابا الحق في احتكار تفسير الكتاب المقدس، وطالب بعدم الحج إلى روما، وبالسماح للرهبان بالزواج.

وأمام مواقف لوثر المتشددة التي تمس معتقدات الكنيسة الكاثوليكية، أصدر البابا ليون العاشر عام ١٥٢٠ قرارا بحرمانه من الكنيسة الكاثوليكية.وأجاب لوثر بأن أحرق القرار علنا في ساحة المدينة.

ولقيت دعوة لوثر لمحاربة بيع صكوك الغفران تأييدا كبيرا من الأمراء الألمان الذين كانوا غير راضين عن ابتزاز أموال رعاياهم باسم الدين، وإرسالها إلى روما لبناء كنيسة القديس بطرس.وكان من أكثر الأمراء تأييدا للوثر فريدريك أمير سكسونيا، الذي أمد حركة لوثر بالرعاية والحماية، كما رفض تنفيذ قرار الحرمان الذي أصدره البابا على أراضيه.

ولما اتسعت حركة لوثر في ألمانيا خاصة في المناطق الشمالية، وفي عام ١٥٢١ تدخل الإمبراطور شارل الخامس بناء على رغبة البابا، فعقد مجمعا في (ورمز) بحضور لوثر، الذي أصر على آرائه وتمسك بها بوصفها مطابقة للكتاب المقدس والمنطق السليم. عندئذ أصدر المجمع قرارا بوضع لوثر خارج القانون وإهدار دمه. لكنه نجا من الموت بمساعدة صديقه فريدريك الذي أخفاه عن الأنظار.

وإثناء اختفاء لوثر انتشرت أفكاره عن طريق تلاميذه ومؤيديه بشكل واسع في جميع أنحاء ألمانيا. ونظر كثير من الألمان إلى حركته ليس فقط باعتبارها حركة دينية، بل حركة شعبية ألمانية رافق انتشارها حركات تمرد وتطرف.فقد قامت ثورة(صغار النبلاء) وكذلك ثورة الفلاحين ضد الكنيسة.

وأمام تزايد انتشار مذهب لوثر، الذي تفرغ لبناء كنيسته ووضع أسسها العقائدية؛ تخوف الأمراء الألمان الكاثوليك، وطلبوا من الإمبراطور شارل التدخل مجددا. وانعقد في (سبير) مجلسا امبراطوريا لدراسة مدى تطبيق قرار (ورمز) بحق لوثر.ولما كان الامبراطور مهتما بمواجهة العثمانيين، ويفضل تجنب الانقسام بين رعاياه؛فانتهج سياسة التهدئة في البلاد. وصدر عن المجلس قرارا في غير صالح الكاثوليكية، خلاصته أنه أعطى لكل أمير ألماني الحرية في اختيار المذهب الذي يريده في أراضيه. وبذلك صار أنصار لوثر في مركز قانوني. لكن الإمبراطور عقد مجلسا آخر عام ١٥٢٩ والغي تلك القرارات، وطالب بالعودة إلى قرارات (ورمز)عام ١٥٢١؛فاحتج اللوثريون عليه، وأطلق عليهم من ذلك الوقت اسم (المحتجين).

وأراد الإمبراطور أن يوحد رعاياه فعقد في العام نفسه ١٥٢٩ مجلسا في أوغسبورغ، حضره الأمراء البروتستانت والكاثوليك بقصد حسم النزاع.وعرضت في الاجتماع مبادئ البروتستانت التي من أهمها: أن الكتاب المقدس هو المرجع الوحيد في قضايا الإيمان

وليس البابا ،وكذلك رفض عبادة القديسين والعذراء وفكرة عدم زواج رجال الدين. والتي رفضها الإمبراطور ومنحهم فرصة العودة عن مطالبهم؛فكان ردهم أن عقدوا تحالفا فيما بينهم للدفاع عن مصالحهم عرف باسم شمالكالدي عام ١٥٣١.

وفشلت محاولات الإمبراطور لحسم الصراع بين رعاياه.وفي عام ١٥٤٤ ونظرا لهدوء الجبهة الألمانية مع الفرنسيين والعثمانيين؛ قرر أن يتفرغ لحل مشاكل ألمانيا الدينية بشكل حاسم،خاصة وأن أربع ولايات من أهم الولايات الكاثوليكية انضمت إلى الكتلة البروتستانتية (كنيسة مارتن لوثر). وبعد فشل الحلول الدبلوماسية مع البروتستانت وفي عام ١٥٤٧ قرر استعمال القوة ضدهم.وانتصر عليهم وأصبح سيد ألمانيا عسكريا ،لكنه لم يفرض على البروتستانت العودة إلى الكاثوليكية ،إنما دعا إلى عقد مجلسا إمبراطوريا في اوغسبورغ عام ١٥٤٨ ،وعرض عليه نظاما يفرض على البروتستانت والكاثوليك في كل ألمانيا ،سمي النظام المؤقت. وأعطى النظام الذي قام في جوهرة على الكاثوليكية ،بعض الترضيات إلى البروتستانت كالسماح بزواج الرهبان.

لم يرض الفريقين عن النظام وعادت الحرب مجددا بين الإمبراطور والدول البروتستانتية ،وأخيرا تم توقيع صلح (أوغسبورغ) عام ١٥٥٥ بينه وبين البروتستانت، وأهم شروط هذا الصلح:

١- إعطاء كل أمير الحق في اختيار المذهب الذي يريد ،وعلى من يخالفه من رعاياه مغادرة البلاد.

٢- أملاك الكنيسة الكاثوليكية التي أخذت منها (من قبل البروتستانت) قبل سنة ١٥٥٢ ،تبقى بيد من وضعوا أيديهم عليها.

وما يؤخذ على هذا الصلح أنه حرم الناس من الحرية الدينية وأعطاها للأمراء فقط، وأنه اعترف بتقسيم ألمانيا دينيا، كما أنه أهمل أنصار مصلحين آخرين مثل كالفن وزوينغلي.ورغم ذلك فقد حقق السلام لأكثر من نصف قرن.

انتشار الإصلاح الديني في أوروبا:

كانت الظروف الدينية والاجتماعية متشابهة في معظم البلدان الأوروبية، بما في ذلك الشكوى من انحراف رجال الدين وتعلقهم بالمسائل الدنيوية؛كل ذلك ساعد في تجاوب أوروبا مع حركة لوثر وفق ظروف كل بلد الخاصة، ويمكن توضيح ذلك من العرض التالي:

سويسرا: أصبحت سويسرا موحدة تقريبا في القرن الخامس عشر الميلادي، وصارت مقاطعاتها الخمسة عشر تشكل اتحادا يديره مجلس أعلى. وبدأت حركة الإصلاح الديني عام ١٥١٩ على أساس ديني، أخلاقي، وطني، وذلك في مدينة زيوريخ على يد ألرخت زوينغلي، الذي تأثر مثل لوثر باعتبار الكتاب المقدس المرجع الوحيد للإيمان.وحارب بيع صكوك الغفران في سويسرا.ولكنه في نفس الوقت ركز على القضايا الوطنية والسياسية، فدعا الناس ضد الانضمام للجيوش المرتزقة، خصوصا في بلدان ألمانيا وكذلك في جيش البابوية، وأقنع السويسريين بدافع حميتهم الوطنية بألا يخضعوا لسيطرة روما، وأن يعملوا فقط لمصلحة الاتحاد السويسري.وانفصل زوينغلي عن الكنيسة في روما عام ١٥٢٥، ولم يأت عام ١٥٢٩ حتى أخذت ست مقاطعات سويسرية بأفكار زوينغلي.

هاجم زوينغلي نظام الرهبنة واستعمال اللغة اللاتينية في الصلاة، وكان أكثر تطرفا من لوثر، فبينما اعتقد لوثر أن أمير أو ملك البلاد يجب أن يكون رأس الكنيسة، فقد طالب زوينغلي بنظام ديمقراطي للكنيسة باعتبارها تمثل كل المسيحيين، الذين يختاروا هيئة منهم

تشرف على الكنيسة والشؤون الدينية.إلا أن دعوته فشلت في السيطرة على سويسرا ،وانقسمت البلاد إلى فريقين:بروتستانتي وكاثوليكي،وانتهى الصراع بينهما بمقتل زوينغلي،وبمعاهدة صلح تركت لكل مقاطعة أو مدينة اختيار المذهب الذي تقرره مجالسها الدينية دون تدخل خارجي.

جنيف:عاشت جنيف مستقلة عن الاتحاد السويسري،ولم يزد عدد سكانها عن ثلاثة عشر ألف مواطن آنذاك.ورغم ذلك قامت فيها حركة اصلاح ديني جعلتها لاحقا مركزا للبروتستانتية في غرب أوروبا. بدأت حركة الإصلاح في جنيف على يد وليم فارل الفرنسي الذي نقصته الخطة لتأسيس كنيسة جديدة وكذلك أساليب الإقناع؛فلجأ إلى جون كالفن(١٥٠٩- ١٥٦٤)

ولد كالفن عام ١٥٠٩ قرب باريس،في عائلة ميسورة،ودرس العلوم الإنسانية والقانون في جامعة باريس،وحصل على معلومات عن الكنيسة ورجالها وتاريخها ،وتعمق في دراسة الكتاب المقدس.وكان كالفن متدينا ومتأثرا بصورة المسيحية خلال الثلاثة قرون الأولى ببساطتها وإنسانيتها؛لذلك استهوته البروتستانتية،ثم هجر فرنسا خوفا من اضطهاد ملكها فرانسوا الأول وتنقل في مدن أوروبية إلى أن استقر في جنيف عام ١٥٣٦. وفي نفس العام أصدر كتابه (تعاليم الدين المسيحي) باللغة اللاتينية؛ حاول فيه تحديد أسس المسيحية وإقامة كنيسة جديدة منفصلة عن الكاثوليكية، لكنها مختلفة عن كنيسة لوثر وزوينغلي.

التقى كالفن مع لوثر باعتبار الكتاب المقدس هو المرجع الوحيد لقضايا الإيمان،لكنه اختلف عنه في موضوع صكوك الغفران،الذي هو عند كالفن هبة من الله يقدره لعبادة جميعا بغض النظر عن أعمالهم. واستطاع كالفن في جنيف أن يؤسس حكومة دينية ،تشددت في أمور الدين،وفرضت رقابة صارمة على حياة الناس الخاصة؛للتأكد من التزامهم

بنظم الكنيسة الجديدة، وأنشأ مجلسا خاصا لمعاقبة الخارجين عليها.نفر الناس من كالفن؛مما اضطره لمغادرة جنيف عام ١٥٣٨ ،وما لبث أن عاد إليها بطلب من أهلها عام ١٥٤١ ،وبقي فيها حتى وفاته عام ١٥٦٤. ومن جنيف انتشرت البروتستانتية الكاليفينية في فرنسا وهولندا وسكوتلندا والمقاطعات السويسرية الشرقية والمجر.

انجلترا: اختلفت حركة الإصلاح في انجلترا عن بقية البلدان الأوروبية، ذلك أن انفصال انجلترا عن الكنيسة الكاثوليكية في روما جاء بدوافع سياسية، وليست بدوافع عقائدية إيمانية. واتجهت انجلترا تدريجيا لتأسيس كنيسة خاصة بها هي الكنيسة الانجيلية.

وتم ذلك في عهد الملك الانجليزي هنري الثامن(١٥٠٩- ١٥٤٧)،وكان كاثوليكيا متعصبا، لكنه طلب من البابا أن يسمح له بتطليق زوجته الاسبانية ليتزوج من آن بولين الانجليزية والتي تربطه علاقة بها. ولما رفض البابا أجبر الملك أسقف كانتربري،ورد البابا باعتبار الزواج باطلا وحرم ملك انجلترا من الكنيسة الكاثوليكية،ومنذ ذلك الوقت تدهورت العلاقات بين الجانبين.

وكان رد ملك انجلترا أن يسعى للتخلص من الكنيسة الكاثوليكية ومن سلطة البابا على بلاده،وأن يؤسس كنيسة وطنية برئاسته.ودفعه عاملان رئيسيان لهذه الخطوة وهما:

١- أن انفصال انجلترا عن روما سيحول كثير من الأموال التي كانت ترسل إلى روما إلى خزانته،وسوف يستولي على أملاك الكنيسة في انجلترا وهي ذات قيمة عالية.

٢- أن الشعب الانجليزي كان غير راض عن ارتباطه بروما وتدخل الكنيسة الكاثوليكية بسبب انتشار الفساد لدى رجالها،واستغلال صكوك الغفران لجمع الأموال.

وأعلن الملك انفصال رجال الدين في انجلترا عن البابا في روما ،وأكد ذلك بقانون صدر عن البرلمان الانجليزي عام ١٥٣٤ ،ونفذ مصادرة أملاك الكنيسة لصالح عرشه،دون أي معارضة من الشعب الانجليزي.ورغم هذا الانفصال السياسي والديني عن البابوية إلا أن المذهب الكاثوليكي استمر في انجلترا.

ولم يبدأ الإصلاح الديني الحقيقي في انجلترا إلا في عهد الملكة إليزابيث(١٥٥٨-١٦٠٣) بسبب انتشار العقائد البروتستانتية خلال الفترة ،وحدث الانقسام بين البروتستانت والكاثوليك في انجلترا ،فاتخذت موقفا وسطا بين الفريقين،واعتمدت على البرلمان لتنفيذ خطتها في الانفصال عن روما.وبذلك تمكنت من تأسيس كنيسة جديدة في بلادها باسم الكنيسة الانجليكانية. وألغت القوانين السابقة التي أعادت انجلترا إلى البابوية، أو بمعنى آخر سعت لتحقيق ما سعى إليه الملك هنري الثامن.

وفرضت الملكة إليزابيث أنظمة الكنيسة الانجليكانية بالقوة،فأصبحت بروتستانتية الروح كاثوليكية المظاهر والطقوس،لذلك لم يتقبلها المتطرفين من البروتستانت،وطالبوا بتطهيرها لذلك سموا ب (المتطهرين) مع خضوعهم للكنيسة الجديدة.ورفض فريق آخر هذه الكنيسة بصورة قاطعة ووقعوا تحت طائلة القانون وسموا ب:(الانفصاليين). أما الكاثوليك فرفضوا هذا النظام باعتباره غير كاثوليكي في جوهره،وحاربوه معتمدين على تأييد اسبانيا والبابا.

البلدان الاسكندينافية: أصبحت تلك البلدان تحت تاج الدانمرك منذ أواخر القرن الرابع عشر، ودخلها الاصلاح الديني لاعتبارات سياسية ومحلية أكثر منها لاعتبارات دينية،حيث طلب ملك الدنمرك من أمير سكسونيا أن يرسل له واعظا لتعليم شعبه مبادئ البروتستانتية. أما في السويد فبعد استقلالها عن الدنمرك وتنصيب (غوستاف فازا) عليها، أدخل الإصلاح

الديني على بلاده بسبب حاجته للمال لتثبيت حكمه، وللسيطرة على أملاك الكنيسة الكاثوليكية في بلاده.

حركة الإصلاح الكاثوليكي:

سميت حركة الإصلاح المضادة، حيث لم تستطع الكنيسة الكاثوليكية في روما أن تتجاهل المطالب الإصلاحية من المصلحين الدينيين، الذين اتهموها بالفساد والخروج على العقيدة المسيحية والكتاب المقدس، خاصة بعدما نجحوا في فصل الكثير من بلدان أوروبا عن روما.

وشعر عدد من الآباء الكاثوليك بأن كنيستهم بالفعل أصابها الفساد بحيث لم تعد قادرة على مواجهة الحركات الانفصالية.وأنه للمحافظة على كنيستهم- كنيسة القديس بطرس- ،وعلى سلطانها الروحي، فلا بد من حركة إصلاح داخلية واسعة تتناول تصرفات رجال الدين ونظام حياتهم، وتحدد بوضوح موقفها من القضايا العقائدية التي أثارها المصلحون البروتستانت.وقد التقت هذه الرغبة العامة مع الدعوات المستمرة التي كان يوجهها الإمبراطور شارل الخامس – امبراطور الدولة الرومانية المقدسة – للبابا، لإيجاد حل للقضايا الدينية يساعده على المحافظة على وحدة الشعب الألماني ويقضي على الانقسام الديني عنده.

مجمع ترانت :وبعد كثير من التردد وافق البابا بولس الثالث على الدعوة لعقد مجمع مسكوني في مدينة ترانت عام ١٥٤٢. واستمر منعقدا على فترات متقطعة حتى عام ١٥٦٣، حينما أصدر مقرراته والتي جاءت في قسمين أساسين:

١- نظام الكنيسة: قرر المجمع تحريم زواج رجال الدين، واستعمال اللغة اللاتينية في الصلاة، ومنع جمع أكثر من أسقفية واحدة بيد رجل واحد.وضرورة فتح مدارس لتعليم رجال

الدين.أما فيما يتعلق بالبابا فقد أعطي السلطة المطلقة في أمور الكنيسة باعتبارها خليفة المسيح.

٢- القضايا العقائدية: رفض المجمع نظرية كالفن ونظرية لوثر وقول البروتستانت عموما؛باعتبار الكتاب المقدس هو المرجع الوحيد لقضايا الإيمان،وأصر المجمع على اعتبار الكتاب المقدس بنصه اللاتيني هو المرجع الوحيد في شؤون الدين.

وبذلك حدد مجمع ترانت مفاهيم الكنيسة الكاثوليكية بشكل أوضح، وأدخل الإصلاح الجذري على نظام رجال الدين الكاثوليك، للقضاء على الفساد الذي تراكم فيه،ليجعل الكنيسة الكاثوليكية قوية وقادرة على مواجهة الحركات الإصلاحية في أوروبا الحديثة،ولتنفيذ الإصلاح الكاثوليكي وفي محاولة لإرجاع المنشقين عن الكنيسة الكاثوليكية اعتمدت الكنيسة على وسائل أو أدوات ثلاثة:

أولا: الجزويت (اليسوعيون): كان لهم أثر فعال في المحافظة على كيان ونفوذ الكنيسة الكاثوليكية.

أسست الحركة على يد ضابط اسباني اسمه (انياس دي ليولا ١٤٩١- ١٥٥٦)،من عائلة نبيلة،أصيب برجله في إحدى المعارك،مما سبب له عرجا رافقه طيلة عمره.وأثناء علاجه اعتكف لمدة سنة درس فيها الكتاب المقدس وسيرة القديسين.وخرج من عزلته عام ١٥٢٢ مصمما على تكريس حياته لخدمة المسيح والكنيسة،فتلقى تعليمه في جامعة باريس لمدة سبع سنوات، حيث تعرف هناك برفاقه الستة الذين تعاهدوا على تكريس حياتهم للعيش في فلسطين ونشر الإيمان المسيحي بين سكانها. وتأسست جماعة اليسوعيين في باريس عام ١٥٣٤،ومن أبز مبادئها آنذاك: نبذ الثروة والعيش في تقشف.ولما تعذر ذهابهم إلى فلسطين

بسبب حروب الدولة العثمانية مع أوروبا؛ذهبوا إلى روما وعرضوا خدماتهم على البابا.حيث أقسموا في روما على الطاعة وسموا أنفسهم: جماعة المسيح.

وفي عام ١٥٤٠ أصدر البابا قرارا بالموافقة على تأسيس جماعة الجزويت وعلى نظامهم ، كما أعفاهم من الضرائب ومن الخضوع لأي سلطة غير سلطة البابا. كما وافق على تنظيمهم العسكري الخاص،وكان رئيسهم يسمى(جنرال) وينتخب مدى الحياة ويتبع البابا مباشرة. وتميزت هذه الجماعة بالطاعة المطلقة للبابا وبالولاء المطلق للكنيسة.

أدت جماعة الجزويت بسبب انضباطهم وحماسهم وتفانيهم خدمات كبيرة للكنيسة الكاثوليكية؛فأوقفوا التيار البروتستانتي في ألمانيا والنمسا وايطاليا واسبانيا إلى حد كبير،وأقاموا حصنا كاثوليكيا منيعا في بولونيا الواقعة بين البروتستانت في بروسيا والأرثوذكس الشرقيين في روسيا.

ثانيا- الفهرس: كان الباباوات منذ القرن الخامس عشر وظهور بوادر حركة الإصلاح الديني في أوروبا يعاقبون واضعي وناشري الكتب التي يعتقدون أن فيها مخالفة لتعاليم الكنيسة. ومنذ عام ١٥٥١ أصبحت رقابة البابوية صارمة على كل ما يكتب وينشر في روما والولايات البابوية.

وفي عام ١٥٥٩ أصدر البابا بولس الرابع قائمة بأسماء الكتب المحرمة والممنوعة،والتي ضمت جميع مؤلفات المصلحين البروتستانت أمثال لوثر وكالفن. وفي عام ١٥٦٣ وبعد مجمع ترانت الذي فوض البابا إصدار فهرس جديد يضم عددا أكبر من الكتب التي تعتبرها الكنيسة خطرة ومضللة.واستمر العمل بهذا الفهرس مع إضافة تعديلات عليه حتى القرن الثامن عشر.

وساعد هذا النظام بالمحافظة على العقيدة الكاثوليكية، إلا أنه حرم بعض البلدان الكاثوليكية مثل اسبانيا والبرتغال من الإطلاع على حركة العلوم والآداب التي كانت نشطة في أوروبا.

ثالثا - محاكم التفتيش:

كانت الفكرة موجودة في العصور الوسطى في الكنيسة الكاثوليكية لمعاقبة الخارجين عليها. كما وافق البابا سكستوس الرابع عام ١٤٧٧ على إنشاء محاكم التفتيش في اسبانيا للتخلص من نفوذ المسلمين واليهود.وأصبحت هذه المحاكم تحت سيطرة الحكومة الاسبانية منذ عام ١٤٩٧ لتحقيق أغراضها السياسية وهي حماية العقيدة المسيحية الكاثوليكية،وبذلك انحرفت عن غايتها الأساسية.

وكان سبب نجاح محاكم التفتيش في تحقيق أغراض الكنيسة الدينية وأغراض الدولة السياسية؛هو اقتراح(ليولا) رئيس اليسوعيين إنشاء محكمة تفتيش في روما تشمل صلاحياتها جميع المناطق الكاثوليكية. وصدر القرار بتأسيسها عام ١٥٤٢،وتمكنت هذه المحكمة من القضاء على البروتستانت في ايطاليا،وعلى دعاة الإصلاح والتسامح مع الحركات البروتستانتية.

المحاضرة السابعة

فرنسا والحروب الدينية:

مقدمة:

امتدت حركة الإصلاح الديني من ألمانيا وسويسرا إلى فرنسا لتشابه أوضاع الكنيسة ورجال الدين في فرنسا معهما. هذا إلى جانب الروح العلمية والنقدية التي انتشرت في أوروبا الحديثة. وكان الملك فرانسوا الأول(١٥١٥- ١٥٤٧) من المؤيدين لإصلاح الكنيسة الكاثوليكية، وانتشرت الأفكار البروتستانتية في فرنسا في عهده خصوصا أفكار لوثر وكالفن. لكن موقفه من الإصلاح الديني أخذ بالتغير لاعتبارات تتعلق بسياسة فرنسا الخارجية؛وكان يحاول دوما التقرب من البابوية ذات القوة الكبيرة في أوروبا، بسبب تنافسه مع الإمبراطور شارل الخامس؛ولذلك بدأ يعارض حركة الإصلاح الديني في بلاده، وأخذ يصدر القوانين والعقوبات الرادعة، التي وصلت إلى حد الإعدام بحق الخارجين على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية؛إلا أنها لم تمنع من انتشار البروتستانتية في فرنسا. وساعد انتشار كتاب كالفن في فرنسا(تعاليم الدين المسيحي) إلى تحول البروتستانتية إلى طائفة دينية قوية واضحة وذات تنظيم قوي.وربما كون كالفن فرنسي اللسان والقومية، فكان تأثيره الأقوى في فرنسا، فكانت البروتستانتية الفرنسية أو (الهيجونوت) كما كانوا يسمونهم في فرنسا ، ذات طابع كالفني صرف.

واستمرت الحركة على عهد هنري الثاني(١٥٤٧- ١٥٥٩)، رغم تشدده في ملاحقة أتباعها، فقد أحرق الكثيرين من المؤمنين بالبروتستانتية.لكن لم يتفرغ لمواجهة هذه الحركة لانشغاله بحروبه مع اسبانيا على النفوذ في أوروبا ، والتي انتهت عام ١٥٥٩، بإعطاء النفوذ

لاسبانيا في ايطاليا تحديدا.وقبل أن يبدأ بالتفرغ لمواجهة البروتستانتية توفي تاركا العرش لابنه.وكانت الحركة قد قويت وزاد أنصارها خصوصا في صفوف النبلاء والطبقات الموسرة وأصحاب المهن الحرة والمثقفين،مما جعلها قادرة على الدفاع عن نفسها رغم قوة الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا،وأن أغلبية الشعب استمر على كاثوليكيته،وأن العرش كان يعارض البروتستانت.

وأمام انتشار المذهب الجديد كان على القوى التقليدية الكاثوليكية الفرنسية وهي:العرش الفرنسي ، والكنيسة الفرنسية ذات التنظيم القوي يدعمهما من الداخل الشعب الفرنسي ومن الخارج نفوذ اسبانيا الكاثوليكية ؛ اللجوء للقوة والعنف دفاعا عن مراكزها ونفوذها. مما أشغل فرنسا خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر بسلسلة طويلة من الحروب الدينية،وأسوأ ما في هذه الحروب هو ما رافقها من خلافات بين السكان وحوادث قتل واغتيال وثأر وإرهاب شملت مدن فرنسا وقراها.

أهم القوى السياسية في فرنسا التي ساهمت في توجيه الحروب الدينية:

١- كاترين دي مديتشي: وهي امرأة ايطالية ذات ثقافة واسعة وسياسة وصولية. كانت زوجة هنري الثاني وبعد وفاته برزت على مسرح الأحداث السياسية الفرنسية،ومارست الحكم زمن أولادها الثلاثة الذين كانوا من أضعف الملوك الذين تسلموا العرش الفرنسي وهم : فرانسوا الثاني وشارل التاسع وهنري الثالث. عملت على إقامة التوازن بين الفريقين لتستأثر بالسلطة ، لكنها في الأغلب كانت مواقفها مرتبطة بمصالحها متجاهلة البعد الديني للصراع. (ليست البرتستانت او الكاثوليك بل مصلحتها)

٢- آل غيز: وكان يتزعم الفئات الكاثوليكية المتشددة فرانسوا دي غيز سيد عائلته الكاثوليكية الارستقراطية ذات النفوذ الواسع، ويدعمه على الصعيد الديني شقيقه شارل كاردينال اللورين وأحد زعماء الكنيسة الكاثوليكية.وخارجيا كان لهذه العائلة صلة قرابة مع ملك اسكتلندا وارتباط وثيق بعرش اسبانيا وبالبابوية. وكانت تمثل القوى الكاثوليكية داخل فرنسا وخارجها في مواجهة البروتستانت.

٣- آل بوربون: تزعم البروتستانت الفرنسيون أنطوان بوربون ملك نافار، وينتمي إلى أعرق العائلات الفرنسية وقريب الملك الفرنسي.ويساعده شقيقه لويس أمير كوندي.ونظرا لنفوذ عائلتهما خصوصا في المناطق الغربية والجنوبية الغربية من فرنسا فقد تبعهما كثير من أعيان هذه المناطق ورجالاتها. وكان يؤيد هذه الجماعة رجل فرنسا القوي(غاسبار كوليني) الذي كان أميرال البلاد وأبرز قادتها وأقوى رجالات المذهب البروتستانتي. (مناقشة٩)

الأحداث التي سبقت الحروب الدينية وأدت إليها:

حكم الملك فرانسوا الثاني(١٥٥٩- ١٥٦٠) وخلال حكمه تسلط آل غيز على شؤون الدولة بسبب ضعف الملك وصغر سنه، مما أثار الفئات الأخرى.وبسبب إعدام محام من البروتستانت(الهيجونوت) حاول هؤلاء تدبير مؤامرة لاختطاف الملك من قصره، لكن محاولتهم انكشفت وتبعها حركة قمع عنيفة من آل غيز ضدهم، كما حكم على لويس كوندي بالإعدام ، ولم تتوقف أعمال العنف إلا بموت الملك الفجائي وانتقال العرش إلى شقيقه.وكانت أعمال العنف هذه بداية لانطلاق الحروب الدينية التي امتدت تقريبا حتى نهاية القرن السادس عشر.

ولما كان الملك الجديد شارل التاسع(١٥٦٠- ١٥٧٤) طفلا في العاشرة من عمره، تولت السلطة الفعلية أمه كاترين الوصية على العرش، وبدأت تنفيذ سياستها القائمة على التوازن لتدعيم سلطتها، واعتمدت في ذلك على الوزير (لوبيتال) من أبرز ساسة ذلك العصر.وأطلقت كوندي المحكوم بالإعدام وكذلك بقية الهيجونوت المسجونين. وحاولت عام ١٥٦١ التوفيق بين الفريقين دون جدوى.وأصدرت الدولة مرسوما عام ١٥٦٢، اعترف للهيجونوت بحقهم في ممارسة شعائرهم الدينية خارج المدن المسورة، ولم ينل المرسوم قبول أي من الفريقين.

والحادثة الأخرى التي أشعلت الحروب الدينية الفرنسية، أنه في عام ١٥٦٢ وبينما تواجد فرانسوا دي غيز في بلدة (فاسي) وجد جماعة من الهيجونوت يمارسون عبادتهم داخل أسوارها، فغضب وأمر جنوده بقتلهم، وعرفت الحادثة باسم (مذبحة فاسي) ، ولما انتشرت اخبارها امتد العنف إلى بقية المناطق الفرنسية، ونكل الكاثوليك بخصومهم، الذين ردوا عليهم بمهاجمة الكنائس والتنكيل بالكهنة وتحطيم الصور والايقونات .وكان بدء الحروب الدينية الأهلية التي امتازت باشتراك المرتزقة الأجانب، وباعتماد الفريقين على القوى الأجنبية؛فبينما اعتمد الكاثوليك على دعم اسبانيا اتجه البروتستانت للحصول على دعم انجلترا.

الحروب الدينية الفرنسية:

بلغ عددها ثمانية (معلومة هامه)، وامتازت بأنها لم تكن في أكثر الأحيان فاصلة؛فكانت تتوقف دون نتيجة حاسمة.ويمكن دراستها على النحو التالي:

الحرب الأولى : كانت لصالح الكاثوليك بتأييد العرش الفرنسي ومساعدة المرتزقة الأسبان والألمان.وانتصروا على الهيجونوت الذين تزعمهم كوندي في النورماندي، لكن مقتل زعيمهم

فرانسوا دي غيز اعتبر خسارة كبيرة للكاثوليك.وقتل أيضا انطوان بوربون زعيم الهيجونوت ،وانتقلت الزعامة إلى ابنه هنري(هنري الرابع).وفي مطلع هذه الحرب تنازل الهيجونوت للانجليز عن مرفأ الهافر الفرنسي للحصول على مساعدتهم. وفي نهاية الحرب وحتى لا يزداد نفوذ الكاثوليك، سعت كاترين للوصول إلى صلح(أمبواز عام ١٥٦٣) الذي سمح للهيجونوت بممارسة شعائرهم في أملاك النبلاء،كما خصصت ضاحية من كل إقليم لتنظيم احتفالاتهم.ملاحظة (الهيجونوت هم البروتستانت في فرنسا)

الحرب الثانية: بعد قرارات مجمع ترانت ١٥٦٣، أصر الكاثوليك على مقاومة التيارات الدينية الجديدة في أوروبا. ولما عقد اجتماع في بايون بين كاترين مديتشي وزوجة فيليب الثاني ملك اسبانيا،للبحث في موضوع زواج مرغريت شقيقة ملك فرنسا بولي العهد الاسباني، طرحت مواضيع الإصلاح الديني،وحضر الاجتماع القائد الاسباني(ألفا) المكلف باخماد ثورة البلاد المنخفضة والمتعصب للكاثوليكية.كل ذلك جعل الهيجونوت يرتابون في موقف الملكة كاترين،وأنه قد يتغير نحوهم؛فدبروا مؤامرة لاغتيال الملك هنري التاسع،لكنها فشلت وأدت إلى الحرب الدينية الثانية التي انتهت بانتصار الهيجونوت.وهنا تدخلت كاترين لاعادة التوازن وعقد صلح(لونجمو١٥٦٨) الذ أكد بنود صلح امبواز السابق.

أدى تدخل الملكة الوالدة إلى زيادة مخاوف الهيجونوت منها وعدم ثقتهم بها ، فهربوا إلى قلعة لاروشيل وتحصن زعماؤهم بها.

الحرب الثالثة : بدات في سبتمبر ١٥٦٨ ،وانتهت بهزيمة الهيجونوت ومقتل زعيمهم كوندي وانتقال القيادة إلى هنري ملك نافار(ابن أنطوان بوربون).وتدخلت كاترين مجددا عام ١٥٧١ لتوقيع صلح سان جرمان، لإعادة التوازن ولتفادي زيادة نفوذ آل غيز الكاثوليك على حرية الهيجونوت الدينية كما كان بموجب الصلحين السابقين. ولضمان تنفيذ أحكام الصلح

وضعت في أيديهم أربعة مدن:لاروشل،مونتوبان، كونيال، كالاشاريتية. وبعد الصلح عملت كاترين على تزويج ابنتها إلى هنري دي نافار زعيم البروتستانت،وذلك لتأكيد الصلح بين الجانبين وزيادة سلطانها على الهيجونوت.

بلغ شارل التاسع ملك فرنسا الحادية والعشرين،وأخذ يتململ من سلطة والدته ومن نفوذ اسبانيا على دولته. وكان قد تربى في أحضان مربية بروتستانتية. واعتقد أن أفضل وسيلة لتحرره الكامل هو الاعتماد على قوة الهيجونوت؛فأيد زواج شقيقته من هنري دي نافار،وأخذ يتقرب من الأمراء البروتستانت الألمان،وقرب إلى بلاطه كوليني ماريشارل فرنسا وأحد كبار زعماء الهيجونوت،الذي لم يلبث الملك أن وقع تحت تأثيره،مما دفعه لمساعدة البروتستانت الثائرين في الأراضي المنخفضة ضد اسبانيا الكاثوليكية. ولم يلبث أن أصبح الهيجونوت أصحاب سلطان كبير في باريس الكاثوليكية أصلا.

أثر هذا التحول على الملكة كاترين وعلاقتها باسبانيا،وقررت اللجوء للقوة لتحرير ابنها من نفوذ كوليني؛فدبرت بالتعاون مع آل غيز مؤامرة لاغتياله(أغسطس ١٥٧٢)،لكن فشل المؤامرة وضع الملكة في حرج شديد في وقت كانت باريس فيه تعج بنبلاء الهيجونوت للمشاركة في حفل زفاف زعيمهم هنري إلى ابنتها. بعد فشل مؤامرتها الأولى قررت كاترين أن تشمل مؤامرتها كل النبلاء البروتستانت الموجودين في المدينة بدعم من آل غيز،وكذلك سعت لضم ابنها الملك إليها،بحجة أن البروتستانت يدبرون مؤامرة ضده.

وهكذا جرت في باريس يوم ٢٤ أغسطس ١٥٧٢ مذبحة يوم عيد القديس (بارثيلمي) استهدفت زعماء الهيجونوت،وذهب ضحيتها عدة آلاف منهم،وامتدت أعمال العنف إلى الريف والمدن الأخرى.عرفت الحادثة باسم (مذبحة بارثيلمي) وكان كوليني من ضمن القتلى. أما هنري دي نافار فقد أنقذ رأسه باعتناقه الكاثوليكية.وأقيمت الأفراح وصلاة الشكر في

روما واسبانيا باعتبار هذه المذبحة قضت على خصوم الكاثوليكية في فرنسا ،وأعادت فرنسا إلى دائرة النفوذ الاسباني.

الحرب الرابعة: أدت مذبحة (بارثيلمي) إلى تصميم الهيجونوت على الدفاع عن أنفسهم،واعتصموا في قلعة لاروشيل حيث حاصرهم الكاثوليك لمدة ثمانية شهور،اضطرت الحكومة في النهايه إلى توقيع صلح معهم عام ١٥٧٣ ، أعادت لهم بموجبه أملاكهم ووظائفهم التي كانت لهم قبل المذبحة،وحق العبادة في مدنهم ومعاقلهم. وبرز في تلك الأثناء جماعة عرفت باسم(السياسيين) كانوا من الكاثوليك المعتدلين،وطالبوا بإعطاء البروتستانت الحريات الدينية كوسيلة لإنقاذ فرنسا من الانقسام الطائفي والحروب الأهلية.

الحرب الخامسة : في مايو ١٥٧٤ توفي شارل التاسع وتسلم الحكم شقيقه هنري الثالث الذي خضع لنفوذ والدته،وكان متشددا في مقاومة الهيجونوت،فواجه الحرب الدينية الخامسة التي بدأت في فبراير أي قبل توليه العرش.وكان(السياسيون) وهنري دي نافار الذي رجع إلى بروتستانتيته ضد العرش. وانتهت الحرب بتدخل كاترين وتوقيع صلح مسيو عام ١٥٧٦ ،الذي أعطى الهيجونوت حق العبادة في كل مكان عدا باريس والبلاط الملكي،كما ألغى الأحكام الصادرة ضد زعمائهم. وأثار الصلح الكاثوليك،وتألف اتحاد كاثوليكي من اليسوعيين(الجزويت)،ومن هنري دي غيز ضد الملك ، لتهاونه مع الهيجونوت الذين أخذ الشعب في باريس ينقم عليهم بسبب تصلبهم وتعاونهم مع الانجليز.

الحرب السادسة:قام بها الاتحاد الكاثوليكي،وانتهت بصلح (برجراك سبتمبر ١٥٧٧) الذي أكد للهيجونوت امتيازاتهم السابقة.

الحرب السابعة: قامت عام ١٥٨٠ ، بسبب عدم تنفيذ شروط صلح (برجراك) بدقة.وكانت الحرب قصيرة انتهت بصلح (فيلي) بنفس العام،وفق النمط المعتاد في الحروب السابقة.

الحرب الثامنة (هامة): حدثت عام ١٥٨٤ بسبب طرح مسألة وراثة العرش الفرنسي على بساط البحث، على أثر وفاة(دوق دانجو) شقيق الملك هنري الثالث الأصغر دون أن يترك وريثا ،كما أن الملك نفسه لم ينجب وريثا لعرشه حتى ذلك الوقت؛فبات من المعروف أن العرش الفرنسي سيؤول إلى هنري دي نافار البروتستانتي. إلا أن ذلك مستبعدا أن يتربع على عرش باريس الكاثوليكية ملك بروتستانتي، لدرجة أن رجال الحلف الكاثوليكي طرحوا شعار (الجمهورية خير من تولي ملك من الهيجونوت)

كل ذلك أدى إلى تشكيل تكتل سياسي كاثوليكي برئاسة هنري دي غيز الطامع بالعرش لنفسه،ويحظى بتأييد اسبانيا والبابا،بقصد محاربة البروتستانتية في فرنسا والأراضي المنخفضة. وأعلن الحلف حرمان هنري من حقه في عرش فرنسا ،وأصدر البابا قرارا بحرمانه بسبب هرطقته. وانضم ملك فرنسا هنري الثالث إلى الحلف بتأثير من والدته،وأصدر مرسوما بسحب جميع الامتيازات التي أعطيت سابقا للهيجونوت.ولذلك بدأت الحرب الثامنة بزعامة هنري دي غيز التي بدت واضحة في يوم المتاريس (١٢مايو ١٥٨٨) عندما رفضت باريس السماح لقوات الملك الفرنسي بدخول المدينة تأييدا لهنري دي غيز.وألحقت الاهانات بالملك لإضعاف مركزه؛الأمر الذي دفع لملك لاغتيال هنري دي غيز وشقيقه كاردينال اللورين لاستعادة نفوذه.

أدى ذلك إلى زيادة كره الناس إلى ملكهم،وأعلن الاتحاد الكاثوليكي خلعه عن العرش بتأييد من البابا في روما ،وبادر الحلف إلى تشكيل حكومة مؤقتة في باريس بزعامة (مايان) شقيق هنري دي غيز.وكان عام ١٥٨٩ مهما في تاريخ فرنسا؛إذ بعد وفاة الملكة

كاترين، انضم هنري الثالث إلى جانب هنري دي نافار وتحالف مع الهيجونوت وحاصروا باريس.لكنه أغتيل على يد راهب من الجزويت، وبذلك مات آخر ملك فرنسي من آل فالو، دون وريث كاثوليكي لعرشه.

الملك هنري الرابع ونهاية الحروب الدينية(١٥٨٩- ١٦١٠)

أصبح هنري دي نفار الوريث الشرعي للعرش الفرنسي طبقا للتقاليد الدستورية، وبادر لإعلان نفسه ملكا باسم هنري الرابع، وأصبح مؤسس ملكية آل بوربون التي حكمت فرنسا حتى الثورة الفرنسية. لكنه واجه مشكلات عدة لتثبيت حكمه ؛ لأنه بروتستانتي وبالتالي يصعب إقناع الفرنسيين الكاثوليك بقبوله ملكا عليهم، ثم هو محروم من البابا.وهناك الكاثوليكي بقيادة مايان من عائلة دي غيز الكاثوليكية القوية.وقد عارض الاتحاد ملكية هنري الرابع وبادر بإعلان كاردينال بوربون ملكا على فرنسا باسم شارل العاشر(اغسطس١٥٨٩) وحصل الحلف على تأييد ملك اسبانيا الذي كان يتدخل في الأزمة الفرنسية بشكل مستمر.وزاد الوضع سوءا أن الطامعين بالعرش الفرنسي من الكاثوليك كثر.

وتعددت المعارك بين الملك هنري الرابع والاتحاد الكاثوليكي، وانتصر هنري في معركة (ايفري) عام ١٥٩٠ وحاصر باريس؛لكن مبادرة ملك اسبانيا بإرسال جيش قوي لإنقاذ باريس جعلته ينسحب. واستمرت المواجهات بين الجانبين إلى أن اقتنع هنري الرابع أن مذهبه هو سبب عدم انتصاره؛فأعلن في يوليو ١٥٩٣ تخليه عن عقيدته واعتناقه الكاثوليكية. وبالتالي استطاع أن ينتصر على خصومه وأن يدخل باريس عام ١٥٩٤.واستمر خصومه في مقاومته بدعم من اسبانيا، لكن تزايد قوته جعلت البابا يرفع الحرمان عنه ويعترف به ملكا على فرنسا، واضطر الاتحاد الكاثوليكي للرضوخ للواقع عام ١٥٩٦.كما أبدى ملك اسبانيا

رغبته بالسلام واعترف بهنري الرابع ووقع معه صلح (فيرفان عام ١٥٩٨)،واستعادت فرنسا بموجبه الأراضي التي أخذتها اسبانيا خلال الحروب الدينية.

ولما أصبح هنري الرابع ملكا للفرنسيين قاطبة وحصل على اعتراف من الداخل والخارج ، بدأ العمل على إزالة ما خلفته الحروب الدينية الثمانية.وكان ذلك بإصدار مرسوم نانت الشهير عام ١٥٩٨.

مرسوم نانت ١٥٩٨ (مناقشة١٠)

أدرك هنري الرابع(ملك فرنسا) أن عليه أن يواجه بشجاعة مشكلة الهيجونوت؛ فالحروب الديني أظهرت أنهم أقوياء وشجعان ومتمسكون بحقوقهم وحرياتهم إلى أقصى حد وهم على استعداد دوما لحمل السلاح للدفاع عن معتقداتهم،رغم كونهم أقلية بين الفرنسيين. ولتحقيق السلام والوحدة بين الفرنسيين لا بد من إعطائهم الامتيازات والحقوق التي يطلبونها.وبعد مفاوضات طويلة مع زعمائهم أصدر هنري الرابع مرسوم نانت الشهير في ابريل ١٥٩٨ الذي أنهى الصراع الطويل مع الكالفينية في فرنسا.واعترف المرسوم للهيجونوت بحقهم بأن يكونوا طائفة مستقلة،وأن يمارسوا شعائرهم الدينية في قلاع النبلاء وفي مدن وأقاليم كثيرة جرى ذكرها،كما حصلوا على المساواة التامة في الحقوق المدنية والسياسية في تولي المناصب المدنية والعسكرية مع الكاثوليك، وغير ذلك من الحقوق والامتيازات. وهكذا أعطى مرسوم نانت للبروتستانت امتيازات جعلتهم مواطنين على قدم المساواة مع غيرهم من الفرنسيين،ووضع بذلك أسس التسامح الديني الذي أصبح لاحقا من القواعد الثابتة في الدساتير الفرنسية.

سياسة الملك هنري الرابع الداخلية والخارجية والتي يمكن تتبعها من خلال ما يلي:

- المشاكل المالية : واجه هنري الرابع مشاكل مالية كثيرة بسبب انتشار الفساد وعدم وصول الضرائب إلى خزينة الدولة، مما جعل الدين العام في تصاعد مستمر والموازنة في عجز دائم.واعتمد هنري على (الدوق صوللي) البروتستانتي والذي كان رفيقة في الحروب الدينية لاصلاح الأوضاع المالية. وألغى صوللي الكثير من الوظائف وحارب الاسراف والتبذير ، وأصلح نظم جباية الضرائب، إلى أن تمكن من الوصول إلى ميزانية متوازنه، وتسديد قسم كبير من الدين العام الذي تراكم خلال الحروب الدينية.واهتم صوللي بالزراعة باعتبارها أساس الثروة القومية، فخفض الضرائب على المزارعين وشجع النبلاء على الاهتمام بأراضيهم الزراعية، كما استقدم خبراء من هولندا لتجفيف المستنقعات، وعمل على نشر زراعة الأرز والتوت.وما يعاب على سياسته تلك عدم الاهتمام بالصناعة والتجارة ليحول دون هجرة الفلاحين إلى المدن.وعوض الملك ذلك باهتمامه الشخصي بالصناعة، فقد سعى لاكتفاء فرنسا من كثير من المصنوعات المستوردة، فقد شجع على قيام صناعات عدة منها : السجاد والزجاجيات والجلود والمنسوجات الرقيقة خصوصا الحريرية منها.

التجارة والاستعمار : اهتم بتسهيل المواصلات بين المدن لتشجيع التبادل التجاري فيما بينها، كما عمل على تنشيط تجارة مرسيليا مع الشرق ، فأصبحت بذلك مدينة كبيرة وغنية.

وفي عهده أرسلت البعثات الاستكشافية للخارج، وتأسست مدينة كويبك في كندا عام ١٦٠٨، وكان ذلك بمثابة حجر الأساس لبناء الإمبراطورية الفرنسية في أمريكا فيما بعد.

السياسة الخارجية : اعتقد هنري أن الخطر الحقيقي على بلاده يأتي من عائلة هابسبورغ الحاكمة في النمسا واسبانيا، أي على طول حدود فرنسا الطبيعية شرقا ؛ لذلك عمل على ربط جميع القوى المعادية لهذه العائلة في أوروبا في حلف قوي تكون فرنسا فيه حجر

الزاوية، وذلك بالاعتماد على بروتستانت ألمانيا والأراضي المنخفضة.وقد برزت سياسته تلك أثناء أزمة وراثة دوقية(كليف)عام ١٦٠٩، لتقرير ما إذا كانت ستنضم إلى الكتلة الكاثوليكية أو البروتستانتية. وقد وقف في هذه الأزمة في الصف المعادي لاسبانيا والنمسا الكاثوليكيتين، وتحالف مع انجلترا وهولندا والبروتستانت الألمان، وبدأ يستعد لدخول الحرب فعلا. إلا أن الكاثوليك الفرنسيين ساءهم تحالفه مع أعدائهم البروتستانت، وقام متطرف منهم ويدعى (رافاياك)باغتياله بضربة سكين عام ١٦١٠ معتقدا أنه بذلك ينقذ الكاثوليكية الفرنسية.

المحاضرة الثامنة

: حرب الثلاثين عاما(١٦١٨- ١٦٤٨) **(مناقشة١١)**

مقدمة:

قامت في ألمانيا وعرفت باسم حرب الثلاثين عاما ،وكانت في أساسها حربا دينية نتيجة للصراع الطويل بين البروتستانت والكاثوليك، ثم تحولت إلى حرب سياسية أوروبية شاركت فيها أكثر دول القارة بصورة مباشرة أو غير مباشرة ،وفق مصالحها السياسية والقومية.

انقسمت ألمانيا في أعقاب حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر إلى فريقين متخاصمين : البروتستانت والكاثوليك.ونجح صلح أوغسبورغ عام ١٥٥٥ بوقف حدة الصراع لفترة طويلة ،لكنه لم يقض على الخلاف نهائيا ، بسبب ما اكتنفت نصوصه من غموض،كما أنها أهملت الحركة الكالفينية ،ولم تعترف بها ،وتسامحت دينيا مع اللوثريين فقط. هذا إلى جانب مشكلة أملاك الكنيسة الكاثوليكية في المقاطعات البروتستانتية ،التي امتلكها البروتستانت بموجب الصلح. واستفاد البروتستانت من مرحلة السلام التي أعقبت صلح أوغسبورغ؛فنشروا مذهبهم في في كل مناطق ألمانيا الشمالية ،وامتد إلى الجنوب في النمسا التي كانت دوما كاثوليكية.

أما الكاثوليك فقد استفادوا من مقررات مجمع ترانت عام ١٥٦٣ ،ومن جهود الآباء اليسوعيين(الجزويت) ،الذين عملوا على إعادة ألمانيا كلها إلى الكاثوليكية ،منطلقين من مدينتي: فينا وميونخ،ومستندين إلى دعم الإمبراطورية الرومانية المقدسة ،والبابا في روما ،وحققوا عن طريق مدارسهم وبعثاتهم التبشيرية وحيويتهم نجاحا قويا في أوائل القرن السادس عشر،وأصبح لهم نفوذ سياسي كبير في المقاطعات الألمانية.وتلاقت أهدافهم مع الأباطرة الذي تعاقبوا على الحكم بعد صلح أوغسبورغ في العمل على وحدة ألمانيا سياسيا ودينيا.

أدى نجاح الكاثوليك في وقف انتشار البروتستانتية ، إلى تكتل البروتستانت في اتحاد قوي يساعدهم على الوقوف بوجه خصومهم،وبرز الاتحاد عام ١٦٠٨ من بعض الأمراء البروتستانت الألمان في بعض المدن الألمانية ،فلم يكن يضم كل البروتستانت لأن الخلاف بينهم كان عميقا ، خصوصا اللوثريين الذين لم يتحمسوا لفكرة النضال واستعمال القوة.ورد الكاثوليك عام ١٦٠٩ بإقامة اتحاد سموه(الحلف المقدس) تدعمه الكنيسة الكاثوليكية والإمبراطور. وهكذا واجهت ألمانيا القرن السابع عشر مقسمة إلى فريقين متخاصمين؛وكان يرأس الحلف المقدس دوق بافاريا المتعصب للكاثوليكية ،بينما ترأس الاتحاد البروتستانتي فريدريك الخامس كونت بلاتينات وصهر ملك انجلترا والكالفيني المذهب.مما جعل كثير من اللوثريين يترددون في تأييد الحلف.

الثورة في بوهيميا وبداية الحرب:

تولى رودولف الثاني(١٥٧٦- ١٦١٢) عرش الإمبراطورية ،وكان طامحا إلى إعادة بناء الوحدة السياسية للإمبراطورية والتي لا تكون إلا بتحقيق الوحدة الدينية ،فطرد دعاة البروتستانت من عاصمته فينا وبدأ بمحاربتهم في بلاده.ونتيجة لسياسته تعرض سكان

بوهيميا البروتستانت- ويتألفون من عناصر تشيكية وسلافية وألمانية- إلى موجه عنيفة من الاضطهاد إلا أنهم صمدوا وأجبروا الإمبراطور سنة ١٦٠٩ على إصدار عهد التسامح الذي أعطاهم الحق في ممارسة شعائرهم الدينية. وتولى بعده شقيقه ماثياس عام ١٦١٢ ، عادت الدولة للضغط على البروتستانت متجاهلة عهد التسامح؛فهدمت بعض كنائسهم، كما سلمت إدارة شؤون بوهيميا إلى وزيرين (سلافاتا ومارتينتيز)وهما من غلاة التعصب للكاثوليكية ، فعملا على القضاء على البروتستانت.

ولما أصبح تولي الأمير فرديناند الثاني عرش الإمبراطورية وشيكا ، وكان معروفا بولائه لليسوعيين ، واشتهر باضطهاده للبروتستانت ، توجس نبلاء البروتستانت خوفا ، وعمدوا تحت زعامة أحد الكالفينيين وهو الكونت(ثورن) إلى الثورة. وفي عام ١٦١٨ هاجموا دار الحكومة في براغ ، وألقوا بالوزيرين من النافذة تعبيرا عن تمردهم على ما يمثلانه من سلطة إمبراطورية متعصبة ، وأقاموا بعد ذلك حكومة منهم.

وفي أغسطس ١٦١٩ حين أعلن ارتقاء فرديناند الثاني بعد وفاة ماثياس ، أعلنت حكومة بوهيميا خلع الإمبراطور الجديد عن عرش بوهيميا ، ونادت بالكونت فريدريك الخامس الكالفيني إمبراطورا على بوهيميا. وبذلك أعلنت بوهيميا تمردها على العرش الإمبراطوري ، وتحولت الثورة إلى حرب الثلاثين سنة ، والتي مرت في أربع أدوار رئيسية.

أدوار الحرب الرئيسية:

١- الدور البوهيمي أو البلاتيني(١٦١٨- ١٦٢٥):

طلبت حكومة بوهيميا المساعدة من الاتحاد البروتستانتي حتى قبل أن تعلن خلع الإمبراطور ، كما طلبت مساعدة البروتستانت خارج الإمبراطورية ، الأمر الذي أثار نقمة

الحلف المقدس الكاثوليكي، الذي استجاب على الفور لطلب الإمبراطور لمساعدته في القضاء على ثورة بوهيميا . وبادر رئيس الحلف المقدس(دوق بافاريا) المتعصب لكاثوليكيته بإرسال جيش لمساعدة الإمبراطور يدفعه لذلك العامل الشخصي المتمثل بكرهه لفريدريك الخامس الذي تربع على عرش بوهيميا مما يجعل له صوتين في انتخاب الإمبراطور.

قامت الحرب وانتصرت قوات الإمبراطور ومعها قوات الحلف المقدس بسرعة كبيرة في نوفمبر عام ١٦٢٠ ،ودخلت بوهيميا بعد أن فر ملكها فريدريك الخامس وزوجته تاركا البروتستانت عرضة للتنكيل وانتقام فرديناند. وسبب هزيمة البروتستانت يعود لعدم استعدادهم للحرب إلى جانب عدم تأييد البروتستانت عامة عليهم خاصة اللوثريين الذين لم يقدموا المساعدة لرئيس الاتحاد الكالفيني. وطبق فرديناند الثاني عقب انتصاره سياسة انتقامية شديدة تجاه البروتستانت المهزومين بهدف استئصالهم من البلاد. وأصدر قرارا اعتبر بموجبه فريدريك الخامس خارجا على القانون، ووهب أملاكه الواسعة الممتدة من بوهيميا إلى الراين إلى مكسيميليان دوق بافاريا ورئيس الحلف المقدس.وامتد الصراع الديني إلى الراين حيث انتزعت أراضي البلاتينات رغم معارضة سكانها القوية من البروتستانت.

وأدت عمليات القمع العنيفة التي مارسها فرديناند الثاني في ألمانيا إلى إثارة حفيظة أوروبا وخلق تيار متعاطف مع البروتستانت الألمان المضطهدين.وكان من ضمن هذا التيار ملك السويد.وملك انجلترا الذي غضب لخلع صهره فريدريك الخامس، إلا أنه فضل التدخل سلميا عن طريق وساطة أسبانية. وكان أكثر ملوك أوروبا اندفاعا للتدخل في ألمانيا كريستيان الرابع ملك الدانمرك. كما سيتضح من الدور الثاني للحرب.

٢- الدور الدانمركي(١٦٢٥- ١٦٢٩):

اندفع كريستيان ملك الدانمرك للتدخل في حرب ألمانيا لصالح البروتستانت في محنتهم، متأثرا بعاطفته الدينية كلوثري من ناحية، ومن ناحية أخرى برغبته بالحصول على بعض المغانم في الأراضي الكاثوليكية الألمانية. وبتدخل الدانمرك بدأت هذه الحرب تأخذ طابعا دوليا، وانتقل مسرح الحرب من جنوب ألمانيا إلى شمالها.

تحمل الحلف المقدس الكاثوليكي وقائده العسكري(تلي) أعباء الحرب في دورها الأول، مما أعطى الحلف نفوذا وسمعة قوية؛فأراد الإمبراطور أن يكون له جيشه الخاص الذي يحارب باسمه، لكنه ينقصه المال اللازم. في هذه الظروف برزت شخصية (ولنشتين) القوية الغامضة المقامرة من نبلاء بوهيميا ، وكان يمتلك ثروة واسعة وسمعة عسكرية حصل عليها من الحرب ضد الأتراك.عرض(ولنشتين) على الإمبراطورإنشاء جيش قوي يعمل لخدمته دون أن يتكلف شيئا من المال، وأن تتكفل الجهات التي ينزل فيها بتموينه ودفع مصاريفه، واستطاع ولنشتين بسرعة تأسيس جيش من المرتزقة الأشداء الذين توافدوا عليه طمعا بالمرتبات المرتفعة التي وعدهم بها.وأصبح هذا الجيش على درجة عالية من القوة والانضباط.وبذلك أصبح للكاثوليك جيشين يحاربان ضد البروتستانت.؛أحدهما بقيادة (تلي) ويتبع الحلف المقدس، والثاني بقيادة (ولنشتين) يتبع الامبراطور ويعمل لصالحه.

بدأت الحرب وانهزم الدانمركيون في معركة (لوتر) في أغسطس ١٦٢٦. إلا أن أهم الانتصارات ضد الدانمركيين حققها(ولنشتين) في معركة (كوزل) وتعقبهم شمالا حتى الدانمرك، وأعاقه عن احتلال الدانمرك عدم امتلاكه أسطول بحري. وهكذا أصبحت ألمانيا الشمالية تحت نفوذ الكاثوليك، لكن هذه المرة بفضل قوة الجيش الإمبراطوري وشجاعة قائده(ولنشتين)؛الذي أسس إمارة لنفسه في(ساغان) على نهر الأودر، وحصل على

دوقية مكلنبورغ،مما أثار طبقة النبلاء ضده،لارتفاع مكانته وباعتباره مجرد مغامر من بوهيميا.

وسعى(ولنشتين) للسيطرة على بحر البلطيق الجنوبي؛لأنه رغب بتأسيس قوة بحرية لألمانيا في الشمال؛مما أثار الدول الاسكندينافية ذات المصالح الحيوية في البلطيق،فتناست السويد والدانمرك خلافاتهما لمقاومة مشاريعه،يؤيدها انجلترا وهولندا وفرنسا لمصالحها البحرية الواسعة.لذلك سعى (ولنشتين) لمفاوضة ملك الدانمرك ومصالحته،ووقع معه معاهدة (لوبك)عام ١٦٢٩ ،استردت بموجبها الدانمرك الأراضي التي فقدتها عام ١٦٢٢مقابل عدم تدخلها في الشؤون الألمانية.

ولما انسحبت الدانمرك من الحرب،أصبح الإمبراطور سيد ألمانيا بلا منازع،وبادر للاستفادة من انتصاره وأصدر مرسوما عام ١٦٢٩يقضي بأن تعاد للكنيسة الكاثوليكية الممتلكات التي استولى عليها البروتستانت بموجب صلح أوغسبورغ عام ١٥٥٥ ،وتولى (ولنشتين) تنفيذ أحكام المرسوم،وقد أساء لكثير من فئات البروتستانت اللوثريين الذين وقفوا على الحياد حتى ذلك الوقت،وهذا أدى إلى توحيد صفوف البروتستانت في ألمانيا لأول مرة منذ بدء هذه الحرب. أما(ولنشتين) فقد زادت موجة العداء ضده من الأمراء والنبلاء،إضافة الى نقمة الناس من أعمال جيشه،وكذلك رأيه المتعلق بالشؤون السياسية الألمانية الرافض لفكرة انتخاب الإمبراطور من الأمراء،بل يجب أن يكون صاحب السيادة ويورثها لأولاده؛وأخيرا اضطر مكرها وخوفا من أن يتخلى عنه الحلف المقدس الكاثوليكي أن يوافق (الامبراطور) على عزل ولنشتين وإبعاده وهو في أوج قوته،وتسلم (تلي)قائد جيوش الحلف قيادة جيوش الإمبراطور أيضا.

٣- الدور السويدي(١٦٣٠- ١٦٣٥):

أدى انتصار الجيش الإمبراطوري شمال ألمانيا إلى إثارة مخاوف السويد من اتحاد ألمانيا كلها تحت نفوذ الكاثوليك، مما يعني قيام دولة قوية على ساحل البلطيق الجنوبي تكون مزاحمة تجاريا وبحريا للسويد.وقررت دخول الحرب الألمانية بهدف الحصول على شريط من الساحل الجنوبي لبحر البلطيق لفرض سيطرتها على البحر. ومن العوامل التي أدت إلى دخول السويد الحرب العامل الديني، لأن غوستاف ادولف ملك السويد كان يؤمن بالبروتستانتية، وساءه ما أصابهم، وأن يرى شمال ألمانيا البروتستانتي تحت سيطرة الإمبراطور المتعصب للكاثوليكية. أما العامل الآخر الذي دفع السويد للحرب تمثل في دسائس ومؤامرات الكاردينال ريشيليو الفرنسي وزير لويس الثالث عشر، الذي استاء من قوة آل هابسبورغ في ألمانيا إلى جانب اسبانيا والنمسا مما يهدد نفوذ فرنسا في القارة الأوروبية، لذلك سعى لإشراك السويد في الحرب كما تعهد بمدها بالمال اللازم.

دخلت الجيوش السويدية ألمانيا في يونيو ١٦٣٠ واحتلت سواحل بومرانيا، وبعدما نجح غوستاف بجمع البروتستانت حوله، وفي مقدمتهم ناخب سكسونيا وناخب البراند بورغ، استطاع التقدم في الأراضي الألمانية، وانتصر على جيوش الإمبراطور في سبتمبر عام ١٦٣١. وأصبحت ألمانيا كلها تحت رحمته، وطارد الكاثوليك حتى نهر الدانوب ونهر الراين، واحتل الساكسونيون بوهيميا.مما أدى إلى استنجاد الإمبراطور بقائده القديم(ولنشتين)، فعاد بشرط إعطائه سلطات كاملة على جيوشه، فاستعاد بوهيميا، لكنه انهزم في معركة لوتزن عام ١٦٣٢ والتي قتل فيها غوستاف ملك السويد، وخلفه على العرش ابنته الصغيرة.

أدت وفاة غوستاف أدولف إلى زوال الحاجة إلى ولنشتين، الذي أصابه الغرور، وأخذ يتجاوز سلطان الإمبراطور، وأقام اتصالات مباشرة مع فرنسا والسويد، إضافة إلى قناعة الإمبراطور بأنه يسعى لعرش بوهيميا لنفسه.وأمام هذا الوضع قرر الإمبراطور التخلص منه فدبر اغتياله

ونجح عام ١٦٣٤ ،وأصبح الجيش مواليا للإمبراطور. وصمم الوصي على العرش في السويد الاحتفاظ بما حققه غوستاف من مكاسب في ألمانيا ، لكن جيشه انهزم أمام الجيوش الإمبراطورية في سبتمبر ١٦٣٤ ،مما أنقذ الكاثوليكية الألمانية من الوقوع تحت سيطرة البروتستانت.

٤- الدور الفرنسي السويدي(١٦٣٥- ١٦٤٨):

أدت هزيمة السويد إلى اتجاه بعض الأمراء البروتستانت الألمان وفي مقدمتهم ناخب سكسونيا لمصالحة الإمبراطور؛وذلك بسبب الملل من الحرب وما أنزلته بألمانيا من خراب،وبسبب الخوف من تزايد النفوذ السويدي والفرنسي في بلادهم. وفي عام ١٦٣٥ توصل ناخب سكسونيا مع فرديناند الثاني إلى تعديل صلح عام ١٦٢٩ القاضي برد أموال الكنيسة الكاثوليكية ،وبموجب هذا الصلح الذي عقد في مدينة براغ أبقيت بيد البروتستانت الأملاك التي كانت بيدهم سواء قبل صلح أوغسبورغ أو بعده لمدة أربعين سنة يتم خلالها حل هذه المشاكل بالأساليب القانونية أو الودية.ولم تلبث أكثر المقاطعات البروتستانتية أن انضمت لهذا الصلح.

استاء ريشيليو(رئس وزراء فرنسا) من هذه التطورات،وبذلك تخسر فرنسا فرصة تحقيق أي مكاسب من الحرب،ويخرج آل هابسبورغ بنفوذ كبير في أوروبا.ولذا بادرت فرنسا في ابريل عام ١٦٣٥ لتوقيع معاهدة كومبين مع الدولتين البروتستانتيتين السويد وهولندا ضد الإمبراطورية النمساوية وحليفتها اسبانيا.ومنذ ذلك التاريخ فقدت حرب الثلاثين عاما طابعها الديني وتحولت إلى حرب سياسية أوروبية محورها الأساسي الصراع على الزعامة في أوروبا بين فرنسا من جهة وآل هابسبورغ في النمسا وأسبانيا من جهة أخرى،والأراضي الألمانية مسرح الحرب.

حققت جيوش الإمبراطور في أول الحرب عام ١٦٣٦ انتصارات على السويد وفرنسا. لكن الوضع تغير فيما بعد خاصة بعدما تولى العرش الإمبراطور فرديناند الثالث الذي كان أقل خبره من والده المتوفى.ومنذ عام ١٦٣٩ أصبح الفرنسيون أسياد الالزاس واحتلوا بعض مناطق الراين الأعلى. وهدد السويديون فيينا نفسها. ومنذ عام ١٦٤٣ اتضح لجميع الفرقاء خاصة الإمبراطور استحالة تحقيق نصر قاطع،ولذا بدأت المحادثات بين رجال السياسة في وستفاليا والتي استمرت خمسة أعوام لم تتوقف خلالها المعارك.

صلح أو معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨: (بنودها مهمة)

طالت المباحثات في وستفاليا دون نتيجة.ولكن بعد الانتصار الحاسم الذي حققته الجيوش الفرنسية والسويدية معا على جيوش مكسيميليان البافاري ورئيس الحلف المقدس. في مايو عام ١٦٤٨ بات الإمبراطور أكثر ميلا للسلام. وأخيرا وفي أكتوبر من نفس العام توصل جميع أطراف الحرب إلى شروط معاهدة وستفاليا التي أنهت حرب الثلاثين عاما.وتعتبر المعاهدة من الاتفاقيات الدولية الهامة بسبب أهمية المواضيع التي عالجتها ،وباعتبارها الأساس الذي قامت عليه علاقات الدول الأوروبية حتى إعلان الثورة الفرنسية. وكان من أهم الحلول التي أوجدتها المعاهدة:

١- **التسوية الدينية:** أكدت المعاهدة على ما جاء في صلح أوغسبورغ١٥٥٥ المتعلق بحرية كل مقاطعة ألمانية في ممارسة المذهب الذي يختاره أميرها ،وتضمنت معاهدة وستفاليا تعديلا جديدا تمثل بالاعتراف بالمذهب الكالفيني وبحق معتنقيه بممارسة شعائرهم بحرية.وفيما يتعلق بأملاك الكنيسة التي كانت من أسباب الحرب تقرر أن تحتفظ كل طائفة بالأملاك التي كانت بيدها عام ١٦٤٢. وتكرس رسميا الاعتراف بانقسام ألمانيا دينيا :جنوب كاثوليكي وشمال بروتستانتي،وانتهت فكرة وحدة ألمانيا الدينية.واعترفت المعاهدة

للمقاطعات البروتستانتية بحقوقها الكاملة في الشؤون السياسية، وأصبح المجلس الإمبراطوري يتألف من أعضاء متساويين في العدد من البروتستانت والكاثوليك.وقد أسس هذا الصلح للتسامح الديني في ألمانيا، وامتد لاحقا إلى بلدان أوروبا الأخرى.

٢- التسوية السياسية في ألمانيا : قضت المعاهدة على الجهود التي بذلت لتوحيد ألمانيا سياسيا ودينيا في ظل حكم إمبراطوري مركزي قوي.وخرج حكام وأمراء ألمانيا بقسط كبير من السيادة والاستقلال تمكنهم حتى من عقد المعاهدات مع بعضهم البعض أو مع دول أجنبية.وأصبحت الولايات البالغة حوالي ثلاثمائة وخمسين تقاوم الفكرة الاتحادية، وأصبحت علاقتها بالعرش الإمبراطوري اسمية فقط.

ومن أهم نتائج معاهدة وستفاليا:

١- أصبح ناخب براند بورغ أعظم الأمراء الألمان على ويأتي الثاني في الأهمية بعد الإمبراطور.ثم أن الأراضي التي ضمها إليه ستمكنه في المستقبل من جعلها مملكة قوية مستقلة (بروسيا) منافسة للنمسا.

٢- حصول زعيم الحلف المقدس دوق بافاريا على أراضي البلاتينات العليا، أما السفلى فقد أعيدت إلى إبن فريدريك الخامس الذي سبق أن طرد من ألمانيا.

٣- حصول السويد على منطقة بوميرانيا الغربية وغيرها من الأراضي الألمانية، وأمن لها السيطرة الكاملة على البلطيق.

٤- حصول فرنسا على الالزاس ومدن متز وتول وفردان.

٥- استقلال سويسرا ، حيث أصبحت دولة أوروبية مستقلة معترف بها من جميع دول القارة.

(اهم النتائج)

٦- استقلال هولندا ، فقد وضع الصلح حدا للصراع بين اسبانيا والأراضي المنخفضة باعترافه باستقلال هولندا وسيادتها.

وشكل الصلح أهمية خاصة لبعض الدول الأوروبية.فقد كرس وجود فرنسا كدولة قوية في أوروبا بإضعافه تحالف النمسا واسبانيا.وأدخل اسبانيا في مرحلة ضعف امتدت حتى نهاية القرن السابع عشر.وأعطى هولندا الاعتراف الدولي وفتح أمامها باب التعامل التجاري والبحري مع اسبانيا وكذلك مع مستعمراتها فتحولت بسرعة إلى دولة تجارية وبحرية قوية

ملاحظة (المهم معرفة سنوات الحرب واهم النتائج المترتبة عليها)

المحاضرة التاسعة

المقدمة:

اغتال متعصب كاثوليكي في باريس عام ١٦١٠م الملك هنري الرابع ، مؤسس ملكية آل بوربون في فرنسا ،وتولى ابنه لويس الثالث عشر الذي لم يكمل التاسعة من عمره. وقد آل الحكم الحقيقي في باريس إلى الوصية الملكة الأم(ماري مديتشي) التي أخذت تدير شؤون البلاد محاطة بمجموعة من اصدقاءها الايطاليين على رأسهم (كونسيني) الذي حظي في ظلها ورعايتها بأعلى المناصب ونفوذ واسع. كما أنها أحدثت تغييرا جذريا في سياسة البلاد الخارجية فابتعدت عن حلفاء زوجها البروتستانت واتبعت سياسة تقارب مع اسبانيا فزوجت ابنها لويس من الأميرة (آن) ابنة ملك اسبانيا وابنتها (اليصابات) من ابن الملك الاسباني.

أثارت تصرفات الملكة الأم وتفردها في إدارة أمور الدولة ،استياء كبار البلاد ونبلائها الذين كانوا يريدون استغلال فرصة مقتل الملك الفرنسي لاستعادة ما فقدوه من نفوذ ،كما أن الهيجونوت (أي البروتستانت خاصة في فرنسا والمانيا) الذين باتوا يشكلون دولة في قلب الدولة الفرنسية بما حصلوا عليه من قوة ونفوذ سياسي لم يكونوا شديدي الثقة بالعرش والدولة ، ولذا فقد اخذوا يحصنون مدنهم وقراهم مما سبب اضطراب الوضع السياسي في البلاد. ثم أن الملك الصغير لم يعد يقبل سيطرة أمه ومعها كونسيني على شؤون الدولة منذ أن بلغ الثامنة عشر من عمره.

تصالح الملك مع والدته عام١٦٢٠ وواجها معا الهيجونوت،وتمكن الملك من فرض صلح(مونبيليه) عام ١٦٢٢ عليهم. ورغم ذلك استمرت البلاد في فوضى ومتاعب داخلية إلى أن

قبض على زمام الحكم فيها السياسي المستبد الكاردينال (ريشيليو) عام ١٦٢٤ ،وظل يديرها حتى وفاته عام ١٦٤٢.

ريشيليو رئيس وزراء فرنسا(١٦٢٤- ١٦٤٢) :

ولد عام ١٥٨٥ ،تدرج في المناصب إلى أن عين وزيرا عام ١٦١٦ ،ونجح في التوفيق بين الملك ووالدته عام ١٦٢٠ ،وأصبح رئيسا لمجلس الوزراء عام ١٦٢٤ واستمر في موقعه حتى وفاته.

اعتقد(ريشيليو) أن أول واجباته هو تحقيق عظمة فرنسا وجعل الملكية الفرنسية قوية في الداخل والخارج.كما اعتقد أنه لتحقيق ذلك لا بد من القضاء على قوة الهيجونوت الفرنسيين السياسية ،وعلى ما تبقى من قوة النبلاء. وتمثلت سياسته الخارجية بالعمل على إضعاف آل هابسبورغ في النمسا واسبانيا ، حتى لا يبقوا حجر عثرة أمام توسع فرنسا في أوروبا. ولم يكن(ريشيليو) متعصبا رغم انحيازه للكاثوليكية ،ولكنه أراد القضاء على القوة العسكرية والسياسية للهيجونوت،دون التعرض لمعتقداتهم.

لم يرض الهيجونوت عن وضعهم في فرنسا ،وكانوا على علاقة دائمة مع انجلترا ، وحاصرهم ريشيليو في مركزهم الأساسي لاروشيل إلى أن استسلموا عام ١٦٢٨ ، ثم استسلم حصنهم الآخر في مونتوبان. وتلا ذلك توقيع صلح (آليه) الذي حفظ للهيجونوت حقوقهم الدينية والمدنية ،إلا أنه نزع كيانهم السياسي المستقل وامتيازاتهم القديمة. أدت سياسة ريشيليو الحازمة إلى نقمة النبلاء ،وكان يرأسهم دوق اورليان شقيق الملك،وانضمت الملكة إليهم، والتي نقمت عليه لمعاداة اسبانيا واستئثاره بالسلطة من دونها.إلا أن ريشيليو نجح في مقاومتهم والقضاء على مؤامراتهم وبالتالي الانتصار عليهم.وذلك بعد أن هدم قصورهم،وعين

في كل مقاطعة مأمورا ملكيا يراقب كافة الأمور من مالية وإدارية وأمنية، مما أضعف سلطان النبلاء وأقصاهم عن التدخل في إدارة الأقاليم.

ونجح ريشيليو في تحطيم قوة النمسا واسبانيا، حيث دخل معهما في صراع مسلح على وراثة دوقية (مانتو) في ايطاليا، ودعم مرشحا فرنسيا لها، وحارب اسبانيا وهزمها مع حلفائها(١٦٢٩- ١٦٣٠)، وانتهت الحرب بإعطاء الدوقية لمرشح فرنسي. وتحالفه مع السويد للتدخل في حرب الثلاثين سنة في ألمانيا، بقصد تحطيم قوة الإمبراطورية النمساوية حليفة اسبانيا ، لكن ريشيليو مات خلال تلك الحرب.

وخلاصة القول نجح ريشيليو في القضاء على كل القوى النافذة في فرنسا بما في ذلك قوة البرلمان، وحقق هدفه بخلق ملكية فرنسية مطلقة داخليا باعتبار ذلك الطريق المناسب إلى تحقيق قوة فرنسا خارجيا.

مازاران رئيس وزراء فرنسا(١٦٤٢- ١٦٦١):

مات لويس الثالث عشر ١٦٤٢، وتسلم ابنه القاصر لويس الرابع، فتسلمت أمه (آن) الوصاية، أما رئاسة الوزراء فقد آلت بناء على وصية ريشيليو إلى صديقه وتلميذه الايطالي الأصل الكاردينال (مازاران)، وذلك لتستمر سياسته من بعده.واستطاع مازاران التفاهم مع الملكة الوالدة وحصل على ثقتها وتأييدها.واستمر يعمل على تقوية الملكية في فرنسا، لكن أساليبه في شؤون الحكم كانت مختلفة. ولم يحرص على الخزانة العامة ، ومات ثريا وخزينة الدولة فارغة. (عكس رشيليو)

تابع مازاران حرب بلاده في ألمانيا، وعمل على توقيع صلح وستفاليا- الذي أشرنا إليه في المحاضرة السابقة- الذي اعتبر نصرا سياسيا لفرنسا، وتابع الحرب ضد اسبانيا. أما

داخليا فقد ساء الوضع بسبب تمرد النبلاء لاستعادة نفوذهم، وكانت خزينة الدولة فارغة بسبب الحروب الكثيرة التي اشتركت فرنسا فيها. ولجأ مازاران إلى أساليب ملتوية لجمع الأموال، ولم يمتلك الخبرة الكافية في الشؤون المالية، وفرض ضرائب كثيرة، مما أدى إلى نفور الناس خصوصا الباريسيين منه.وبرز ذلك عندما عارض برلمان باريس فرض ضرائب جديدة عام ١٦٤٨. وطالب البرلمان بعريضة قدمها إلى الوصية على العرش بحقه بالإشراف على فرض الضرائب في البلاد، وإلغاء وظيفة المأمور الملكي في المقاطعات وغير ذلك من المطالب.وقد حاز البرلمان على تأييد عامة الشعب والنبلاء.

ولم تلبث تلك الحركة أن تحولت إلى ثورة(الفروند الأولى) استمرت ثلاثة أشهر في باريس، وهربت الملكة وابنها ومازاران خارج باريس.ولما انتهت حرب الثلاثين سنة، تمكن مازاران عن طريق أحد الجيوش الملكية من محاصرة باريس.وانتهت الثورة بأن وقع البرلمان مع الحكومة صلحا حصل البرلمان بموجبه على بعض الاختصاصات المالية مقابل تنازله عن دوره السياسي.

وأدى الصراع بين مازاران والنبلاء الذين تحالف بعضهم مع اسبانيا عدوة فرنسا إلى ثورة (الفروند الثانية) وحاصروا باريس ، إلا ان جيوش العرش الفرنسي هزمت القوات الاسبانية عام ١٦٥٢، وبالتالي قضت على الثورة.وقد أدت هذه الثورات بما تركت من ذكريات مؤلمة لدى الملكية الفرنسية والنبلاء إلى ظهور فكرة جديدة تقوم على حاجة فرنسا إلى ملكية مستبدة ومركزية وقوية.

أما مازاران فقد تفرغ لمواجهة اسبانيا وتحالف مع انجلترا لذلك، حتى اضطر اسبانيا لتوقيع صلح البرانسيس، الذي أكد على صلح وستفاليا، وحصلت بموجبه فرنسا على أراضي جديدة على حدودها الشمالية الشرقية.ومات مازاران عام ١٦٦١، بعد أن وطد لفرنسا سلطانا

قويا في الخارج، وقوة مطلقة في الداخل.وكانت آخر الأمور التي حققها قبل وفاته زواج الملك الفرنسي الشاب من الأميرة ماريا تريزا ابنة ملك اسبانيا فيليب الرابع، أملا في حصول فرنسا على مكاسب كثيرة من هذا الزواج.

لويس الرابع عشر وعصر الملكية المطلقة والتفوق الفرنسي: (هام)

تسلم لويس الرابع عشر عرش فرنسا عام ١٦٦١، وهي دولة قوية مزدهرة وسلطانا مطلقا داخل فرنسا. لكن حتى هذا التاريخ كان مازاران(رئيس الوزراء) الحاكم الفعلي لفرنسا، ولم يكن لويس الرابع عشر قد شارك في أعمال هذه الدولة ومسؤولياتها.

آراؤه في الحكم:

فاجأ الملك الشاب عديم الخبرة الفرنسيين بعد موت رئيس وزرائه بعزمه على أن يحكم حكما مباشرا دون رئيس وزراء مصمما على أن يتولى بنفسه شؤون الملك والحكم.واعتقد الملك أنه يمثل سلطان الله على الأرض، فهو غير ملزم بتبرير أعماله وقراراته، ولا بأن يشارك الشعب معه في إدارة البلاد. لذلك كله حكم فرنسا حتى وفاته عام ١٧١٥ حكما استبداديا مطلقا، وكرس عمله لتحقيق عظمة فرنسا وخدمة عرشها. وسعى لتحقيق أمجاده الشخصية باعتبار ذلك عظمة لفرنسا.

معاونوه:

اختار مجموعة من المعاونين لمساعدته في إدارة شؤون البلاد وتقديم النصح له إذا ما طلب منهم ذلك. واعتمد بصورة خاصة على المأمورين الملكيين، وكان يختارهم بنفسه من أبناء الطبقة الوسطى لضمان استمرار ولائهم لشخصه.وأبعد النبلاء عن شؤون الحكم.واختار في أول عهده ثلاثة وزراء لمساعدته في شؤون الحكم كانوا من مساعدي

مازاران.كان(فوكيه) لوزارة المال لكنه استبدله لمطامعه بالوزير (كولبير) الذ بقي في خدمته حتى وفاته ١٦٨٣.واختار (دي ليون) للخارجية ،و(لو تلبيه) للشؤون الحربية. وقد مال في آخر حياته لاختيار معاونيه من أشخاص أقل خبرة وأدنى مستوى بسبب ميله نحو الاستبداد والحكم المطلق.

السياسة الداخلية وكولبير:

ارتبط الإصلاح الداخلي في عهد لويس الرابع عشر بوزير المال كولبير، ويمكن تتبع ذلك فيما يلي:

عالج فراغ الخزينة من الأموال عن طريق خفض الفوائد على ديون الدولة وإلغاء كثير من الوظائف، وفرض الضرائب على بعض السلع الاستهلاكية، مما أثار نقمة الجماهير. ورغم ذلك نجح في إصلاح أمور الخزينة وتضاعف دخلها عام ١٦٦٧ ، إلا أن الوضع المالي استمر سيئا بسبب سياسة لويس الرابع عشر التوسعية.واهتم بتطوير الصناعات الفرنسية وخلق صناعات جديدة ليحول دون استيرادها.وشجع الصناعة المحلية وفرض ضرائب على البضائع المستوردة.وأقام كثير من الصناعات بتمويل الدولة وأعطاها امتيازات احتكارية لتزدهر وتستمر.

أما مطامعه التجارية فقد كانت واسعة، وتمثلت في بناء إمبراطورية بحرية تجارية لمنافسة انجلترا وهولندا. وطمع باحتلال مصر وشق قناة السويس، واحتكار المراكز التجارية المؤدية إلى الهند والشرق الأقصى؛وأسس لذلك شركة الهند الشرقية الفرنسية. وأسس أسطول بحري لفرنسا وبنى مرافئ حديثة واشترى سفنا جاهزة.أما في مجال التجارة الداخلية

فقد حسن شبكة الطرق الداخلية ولم ينجح في توحيد المكاييل والأوزان وفي إلغاء الحواجز الجمركية الداخلية.

أراد كولبير بناء إمبراطورية استعمارية لفرنسا مثل انجلترا ، وأصبحت ثالث دولة بحرية في الأطلسي. وعمل على تطوير الجيش ليصبح من أقوى جيوش أوروبا ، بعد أن حوله من جيش مرتزقة إلى جيش قومي منظم. واهتم إلى حد كبير بالفنون والآداب فأسس أكاديميات فرنسية للرقص والعلوم والموسيقى والفنون

السياسة الخارجية الفرنسية وحروب فرنسا :

اعتمد لويس الرابع عشر على مبدأ تحقيق عظمة فرنسا ، وامتدادها إلى حدود طبيعية آمنة.فحدودها الشرقية القريبة من باريس مهددة من جيرانها الشرقيين.والالزاس واللورين لم تندمجا مع فرنسا بعد. وفي الشمال الشرقي لا زالت اسبانيا رغم ضعفها تسيطر على أراضي بلجيكا ؛وبالتالي فرنس لا تقبل هذا الوضع وهي في أحسن حالاتها سياسيا ويسعى ملكها لتحقيق عظمتها. (مناقشة١٢)وتبنى الملك سياسة كولبير لجعل فرنسا دولة بحرية قوية ، والعمل على تأسيس إمبراطورية استعمارية فرنسية فيما وراء البحار.هذه السياسة الطموحة في عهد ملكها العظيم قادت فرنسا إلى سلسلة من الحروب الكبيرة وهي:

١- حرب الأراضي المنخفضة أو حرب الاستحقاق : قامت سياسة فرنسا التوسعية على حدودها الشمالية الشرقية التي تصطدم مع النفوذ الاسباني.ولما كانت اسبانيا في حرب مع البرتغال عرض لويس الرابع عشر على ملك اسبانيا فيليب الرابع مساعدته ضد البرتغال مقابل الاعتراف لزوجته ابنة الملك الاسباني من زوجته(الياصابات) الفرنسية بحقوقها بالعرش

الاسباني،أو على الأقل التنازل لفرنسا عن أراضي بلجيكا.لكن الملك الاسباني رفض العرض رفضا قاطعا.

ولما توفي الملك الاسباني وخلفه ابنه الضعيف شارل الثاني(أمه ماريا النمساوية)،أعاد لويس الرابع عشر مطالبته بالأراضي المنخفضة اعتمادا على قانون للوراثة قديم العهد،لكنه ساري المفعول في (برابان) إحدى مناطق الأراضي المنخفضة،وبموجبه يحرم ل أبناء الزواج الثاني من وراثة العرش،وبالتالي لا يحق لشارل الثاني تولي عرش أبيه. وبعد مفاوضات طويلة بين الجانبين تقدم لويس الرابع عشر بجيوشه في(مايو ١٦٦٧) دون إعلان حرب،واحتل بسرعة كبيرة أراضي الغلاندر ومقاطعة فرانش كونتيه.مما أدى إلى تحالفا ثلاثيا معاديا لفرنسا ضم هولندا وانجلترا والسويد؛وبالتالي اضطر لويس الرابع عشر لقبول صلح (اكس لاشابيل مايو ١٦٦٨).واستعادت اسبانيا بموجبه مقاطعة فرانش كونتيه،وكان الصلح مجرد هدنة في سلسلة حروب لويس الرابع عشر التوسعية.

٢- الحرب الهولندية(١٦٧٢- ١٦٧٨) : اعتبر لويس الرابع عشر ملك هولندا جون دي ويت المسؤول عن التحالف الثلاثي ضده،لذلك سعى لمهاجمة هولندا التي كان ينقم عليها أصلا لمساعدتها البروتستانت الفرنسيين،وكونه مركزا للمعارضين الفرنسيين لحكمه الاستبدادي.هذا إلى جانب منافستها القوية للتجارة الفرنسية. وسعى ملك فرنسا لعزل هولندا وتطويقها؛فعقد معاهدة سرية مع انجلترا عام ١٦٧٠ ضدها،واتفق مع السويد وبعض الأمراء الألمان،ودفع للإمبراطور مبلغا من المال لقاء تعهده بالوقوف على الحياد.

واهتمت هولندا بتجارتها دون وجود جيش دائم،لذلك ألحق الفرنسيون والانجليز بهولندا،وقامت ثورة فيها أدت لمقتل ملكها،وتسلم الحكم(وليم أورانج) عدو فرنسا التقليدي والذي سيصبح لاحقا ملك انجلترا باسم وليم الثالث. وقد بادر وليم فورا بنسف السدود وإغراق

البلاد بالماء، وبالتالي أعاق تقدم الجيش الفرنسي، وجعل الحرب تمتد لست سنوات(١٦٧٢-١٦٧٨).وعزز الموقف الهولندي صمود أسطولها أمام الأسطول الانجليزي.

ونجح وليم في إقناع الإمبراطور بالتخلي عن اتفاقه مع الفرنسيين، وتوصل إلى تحالف قوي مع النمسا والدانمرك وبعض الولايات الألمانية واسبانيا(١٦٧٣).وكان صمود هولندا والخوف من فرنسا من معظم الدول دفع تلك الدول للتحالف مع هولندا ، واضطر ملك انجلترا لمصالحة هولندا(١٦٧٤).وأصبحت فرنسا وحيدة في وجه معظم الدول الأوروبية. ورغم كل ذلك حققت فرنسا نجاحات عسكرية وهزمت أسطول هولندا في المتوسط(١٦٧٦).

صلح نمفيجن ونهاية الحرب ١٧٧٨- ١٧٧٩ :

عجلت الانتصارات الفرنسية توقيع صلح نمفيجن، وهو عبارة عن أربع معاهدات للصلح بين فرنسا والإمبراطور وهولندا واسبانيا. وقد حصلت فرنسا بموجبه على مقاطعة (فرانش كونتيه) وعلى سلسلة من المدن الحصينة على حدودها الشمالية الشرقية، وأكدت بقاء الالزاس واللورين بيد فرنسا. وبالتالي خرجت فرنسا منتصرة من حرب كبيرة. رغم الأزمات المالية التي وقعت بها جراء هذه الحرب

اندفع لويس الرابع عشر معتمدا على جيشه وأسطوله القويين لاستغلال انتصاره داخل فرنسا.لذلك شكل(محاكم الضم) مهمتها تقرير حقوق فرنسا في الأراضي التي سيطرت عليها.وفسرت هذه المحاكم المعاهدات الدولية لصالح فرنسا.ولم تقم الدول الأوروبية بشيء أمام الادعاءات الفرنسية، وبادرت هولندا واسبانيا والإمبراطور عام ١٦٨٤ لتوقيع هدنة مدتها عشرين عاما ، وافقت فيها على ضم الأراضي لفرنسا طيلة هذه الفترة.

واندفع لويس الرابع عشر في سياسة استبدادية مطلقة في الشؤون الدينية، ولاحق طائفة الجانسينست الكالفينية وتشدد في ملاحقتهم. وفي عام ١٦٨٢ عقد مجمعا دينيا في باريس أعلن فيه سيطرة الدولة على الكنيسة الفرنسية.فأصبحت تحت سلطته وليس سلطة البابا دون أن يعلن انفصالها عن البابوية.مما أثار عداء البابا. وغير سياسته تجاه الهيجونوت؛فألغى عام ١٨٨٥ مرسوم نانت ومنعهم من حرية العبادة، وطرد قسسهم وهدم كنائسهم وأغلق مدارسهم، مما أجبر حوالي ربع مليون منهم إلى مغادرة البلاد إلى انجلترا. وكان هؤلاء يسيطرون على الصناعات الفرنسية وشؤون المال والاقتصاد وبعض المراكز الهامة في البحرية والجيش، فكان خروجهم خسارة لفرنسا ومكسبا للدول التي نزلوا في أراضيها.

٣- حرب عصبة أوغسبورغ :

أدت سياسة فرنسا التوسعية إلى هذه الحرب ،والتي لم تتوقف بعد هدنة عام ١٦٨٤، فقد استمر لويس الرابع عشر بالتوسع في حوض الراين الأوسط. وأمر جيوشه عام ١٦٨٧ باحتلال أراضي البلاتينات التي توفي أميرها دون وريث شرعي مستغلا صلة المصاهرة التي تربط الأمير المتوفى بآل بوربون. مما أدى إلى خوف الدول الأوروبية خصوصا الدول البروتستانتية التي نقمت عليه لاضطهاده الهيجونوت. فقام وليم اورانج زعيم هولندا بإنشاء تحالف ضد فرنسا ضم هولندا واسبانيا والسويد والبلاتينات باسم حلف أوغسبورغ عام ١٦٨٦، وهدفه إجبار فرنسا على الالتزام بأحكام اتفاقيات وستفاليا ونفيجن، وانضم البابا سرا لهذا التحالف. وانضمت انجلترا إلى الحلف عام ١٦٨٩ بعدما ارتقى عرشها زعيم الحلف وليم أورانج.

رغم الانتصارات التي حققتها فرنسا في معارك كثيرة، كان أبرزها معركة (بيتشي هيد) البحرية عام ١٦٩٠ على الأسطولين الهولندي والانجليزي، لكن طول الحرب لأكثر من عشر سنوات واستنزاف طاقات الفريقين، والأزمة المالية الحادة التي وقعت فيها فرنسا بعد وفاة كولبير، جعلها تميل إلى الصلح.وفي أكتوبر ١٦٩٧، وقعت فرنسا معاهدات الصلح في مدينة رزويك الهولندية، اعترفت فرنسا بموجبه بوليم الثالث ملكا على انجلترا، كما تعهدت بعدم التدخل في شؤونها الداخلية.وتعهدت بالانسحاب من الأراضي التي احتلتها بعد صلح نمفيجن عدا مدينة ستراسبورغ.

٤- حرب الوراثة الاسبانية وصلح وترخت:

تسلم عرش اسبانيا عام ١٦٦٥ الملك شارل الثاني ضعيف البنية، ولم يستطع أن ينجب وريثا ذكرا لعرشه.وعاش الملك الضعيف حتى نهاية القرن السابع عشر واستطاع ان يصون وحدة بلاده من أطماع دول أوروبا بعكس كل التوقعات. ولما تقدم العمر بالملك الاسباني وتفاقم ضعفه وبات أجله منتظرا طرحت مشكلة وراثة العرش على بساط البحث في أوروبا.وكان لاسبانيا إمبراطورية واسعة في أوروبا وخارجها، مما جعلها على اتصال مباشر بمصالح أكثر الدول الأوروبية، خصوصا فرنسا.

وبرز ثلاثة مطالبين بوراثة العرش الاسباني وهم:١- لويس الرابع عشر الذي يطالب بالوراثة لنفسه أو لابنه ،لأنه كان متزوجا من ماريا تريزا شقيقة شارل الثاني.٢- امبراطور النمسا وكان أيضا متزوجا من شقيقة الملك الاسباني.٣- أمير بافاريا وهو قريب الملك الاسباني.

وأخيرا وفي عام ١٦٩٨ وقعت فرنسا وهولندا اتفاقا لتقسيم الأملاك الاسبانية، لكن وفاة أمير بافاريا عام ١٦٩٩ ، طرحت المشكلة مجددا وجرى اتفاق جديد ، حصلت فرنسا بموجبه على نابولي وصقلية وميلانو، وترك ما تبقى للإمبراطور النمساوي الذي حصل على حصة الأسد ، وأظهرت الاتفاقية اعتدال لويس الرابع عشر.كانت أخبار هذه الاتفاقيات تثير غضب ملك اسبانيا ، واهتم رغم ضعفه بصيانة وحدة اسبانيا من التقسيم. ولذا فقد وضع بداية وصية تؤول بموجبها أملاكه إلى أمير بافاريا.ولما توفي وضع وصية أخرى تؤول أملاكه بموجبها إلى دوق دانجو حفيد لويس الرابع عشر، لأنه اعتقد أن الدوق الشاب سيتمكن بنفوذ جده الملك الفرنسي صيانة وحدة اسبانيا من مطامع الدول.

وأعلن لويس الرابع عشر قبوله بالوصية التي أعلنت بعد وفاة ملك اسبانيا عام ١٧٠٠ ، وبات حامي وحدة اسبانيا بعد أن كان يعمل لتقسيمها.وأسرع بإعلان حفيده ملكا على اسبانيا باسم فيليب الخامس كما نادى به ملكا في بروكسل وميلانو ونابولي. وبادرت انجلترا وهولندا بالاعتراف بالملك الجديد.لكن لويس الرابع عشر سارع بخطوة متهورة جعلت أوروبا تقف ضده؛ذلك أنه أعلن أن ارتقاء حفيده عرش اسبانيا لن يفقده حقه في ارتقاء عرش فرنسا بعد جده. بمعنى أن الفرنسيين يودون دمج اسبانيا وفرنسا تحت عرش فيليب الخامس، الأمر الذي لا تقبله أوروبا خاصة انجلترا وهولندا لأنه يقلب موازين القوى الدولية في أوروبا وخارجها. واتفقت الدولتان ومعهما النمسا(التحالف الأعظم) ضد فرنسا.

بدأت حرب الوراثة الاسبانية ضد فرنسا في مارس ١٧٠٢ ، وكانت من أطول الحروب وأكثرها مآسي وامتدت حتى عام ١٧١٣ ، وتوزعت ساحات القتال فيها في ايطاليا وبلجيكا وبافاريا واسبانيا والعالم الجديد. وكشفت الحرب جوانب ضعف فرنسا خصوصا المالية.وتوالت الهزائم على الفرنسيين خصوصا على يد الأمير يوجين النمساوي، الذي أخرج

الفرنسيين من الأراضي الواطئة، وبلغت فرنسا أحرج ظروفها عام ١٧١٠ حينما اشتدت أزمتها الاقتصادية وانتشر الجوع بين سكانها.ومال لويس الرابع عشر إلى السلم، لكن الشروط المذلة التي عرضها الخصوم جعلته يواصل القتال معتمدا على وطنية الفرنسيين، وتمكنت فرنسا من الانتصار على جيش الأمير النمساوي المتقدم في الأراضي الفرنسية، مما عزز موقف فرنسا في مباحثات السلام.هذا إلى جانب وفاة إمبراطور النمسا عام ١٧١١ ، وتولي الأرشيدوق شارل وهو نفسه الذي كان مرشحا لعرش اسبانيا.وأصبحت انجلترا تخشى اتحاد النمسا واسبانيا، لذلك انسحبت من التحالف الأعظم عام ١٧١٢ ، ومالت للتفاهم مع فرنسا.

وبدأت المفاوضات بين فرنسا وأعدائها، والتي انتهت بصلح وترخت الشهير عام الذي١٧١٣ الذي أنهى الحرب.

أهم نصوص صلح وترخت عام ١٧١٣ :

١- الاعتراف بفيليب الخامس حفيد لويس الرابع عشر ملكا على اسبانيا ليؤسس فيها ملكية بوربونية لا تزال تحكمها حتى اليوم.وأبقت تحت سيادته جميع المستعمرات الاسبانية عدا جبل طارق وجزيرة مينورقة.وتنازل عن حقوقه بالعرش الفرنسي؛مما حافظ على وحدة اسبانيا السياسية.

٢- أخذت الإمبراطورية النمساوية الأراضي المنخفضة الاسبانية(بلجيكا) وأراضي نابولي وميلانو وسردينيا، وبالتالي احتفظت النمسا بنفوذها في ايطاليا حتى القرن التاسع عشر حينما تحققت الوحدة الايطالية.

٣- تنازلت اسبانيا لانجلترا عن مضيق جبل طارق الموقع البحري الهام، وعن جزيرة مينورقة في المتوسط.

٤- أخذت انجلترا من فرنسا أراضي نيوفوند لاند وخليج هدسون وهي المدخل للمستعمرات الفرنسية في كندا.

٥- أعيد أمراء كولدن وبافاريا إلى أراضيهما.وتوسعت أراضي بروسيا واعترف بها مملكة مستقلة، التي نافست ألمانيا على الزعامة الإمبراطورية في القرن الثامن عشر.

٦- الاعتراف بحق البروتستانت بوراثة العرش الانجليزي

٧- حصول دوق سافواي على جزء من أراضي ميلانو.

خرجت انجلترا من حرب الوراثة الاسبانية بنصر كبير،وحققت أغراضها التي حددها الملك وليم الثالث حينما دخل التحالف العظيم،كما أنها خرجت من الحرب دولة متفوقة على جميع الدول في شؤون البحر.

ومات لويس الرابع عشر عام ١٧١٥ ،وخلفه حفيده الصغير على العرش ،منهيا بذلك عهدا من أطول عهود فرنسا الملكية،وأحفلها بالأحداث والحروب.

المحاضرة العاشرة

انجلترا والثورة المجيدة أو الدستورية ١٦٨٨:

المقدمة:

كان لانجلترا في القرن السادس عشر تاريخ يشبه في وجوه معينة تاريخ الدول الكبرى في أوروبا الغربية، من حيث سيطرة الملكية واستئثارها بالسلطة المطلقة، وظهور الطبقة البورجوازية (المتوسطة) وازدهار التجارة الخارجية ، وكذلك من حيث المساهمة في حركة احياء العلوم والمعارف التي عرفت باسم النهضة.

ولكن هذه البلاد لا تلبث أن تسير في القرن السابع عشر في طريق يعزلها أكثر من ذي قبل عن سائر أوروبا، مما جعل لتاريخها خصائص ومميزات تختلف كثيرا عن أوروبا الغربية. حقيقة بقى الاتصال بين انجلترا وبقية أوروبا واستمرت انجلترا تتأثر بالإحداث التي

تجري في أوروبا ، وحاولت أسرة ستيوارت التي وصلت الى الحكم بعد اسرة تيودور في عام ١٦٥٣ ان تقلد اسرة البوروبون في فرنسا وتتشىء لنفسها حكومة على نمط الحكومة التي اقامها لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر في فرنسا ، ووجد من ملوك اسرة ستيورات – وخصوصا الملك شارل الثاني – من اراد ان يحذو حذو حكومة لويس الرابع عشر في الدين والسياسة. غير أن جميع هذه المحاولات كان نصيبها الفشل عندما حطمتها الثورة التي قامت عام ١٦٨٨ ، وعرفت باسم الثورة المجيدة أو الثورة الدستورية ، والتي اسفرت عن تاييد نظام الحكم البرلماني في انجلترا وقضت على كل محاولة لاقامة الحكم الاستبدادي المطلق هناك. (مناقشة ١٣)

ولقد كان لهذا النصر اكبر الأثر في حياة أوروبا السياسية حينئذ ، ذلك ان اوروبا في عام ١٦٨٨م كانت بوجه عام تسير في اتجاه واحد هو تركيز كل سلطة في يد الملكية ، حيث ساد الاعتقاد بان اشتراك عناصر الشعب في الحكم والادارة من شانه ان يضعف الدولة لا ان يساعد على تقويتها . لكن ثورة ١٦٨٨ وما تلاها من دعم النظام البرلماني في انجلترا ونجاح في القرن الثامن عشر، دل على فساد مزاعم انصار الحكم الاستبدادي المطلق ، فظهر اتجاه جديد نحو اطلاق الحريات العامة ، والسياسية منها بصفة خاصة. وظهر اثر هذا الاتجاه الجديد في تفكير وكتابات السياسيين من رجال الحكم وأصحاب النظريات والمذاهب السياسية .

جيمس الأول وبداية النزاع مع البرلمان:

اعتلى جيمس الأول (١٦٠٣- ١٦٢٥) العرش بعد اليزابيث (١٥٥٨- ١٦٠٣)، وهو ابن ماري ستيوارت واقرب وريث للعرش، وكان حينئذ ملك على اسكتلندا. وكان سبب

اوتقائه العرش الرغبة في ايجاد اتحاد شخصي بين اسكتلندا وانجلترا وأن تستفيد البلاد من هذا الاتحاد .

ولكن جيمس لم يكن له من الصفات ما كان لإليزابيث، فلم يتصف بالحذر والحكمة ، ولم يكن ملما بحقائق الموقف في اوروبا. وقد تمسك جيمس بنظرية حق الملوك الإلهي أو المقدس في الحكم، على خلاف خطة إليزابيث التي جرت في الحكم على أنها تقوم بتمثيل الدولة. وكان من حق الملوك المقدس في الحكم حسب مفهوم القرن السادس عشر أن للدولة العلمانية الحق في البقاء سواء رضيت الكنيسة عنها أو لم ترض، وكانت الفكرة في أساسها فكرة بروتستنتية . غير انه في القرن السابع عشر تطور حق الملوك المقدس نحو اعتبار أشخاص الملوك نفسها مقدسة ، وان الله – كما ورد في الكتاب المقدس – يؤيد سلطة الملوك المطلقة ويعارض أي تدخل للحد من منها.وحسب قول جيمس الاول ، فان الملوك " صور حية لله على الارض" و " مركز الملكية أسمى شيء على الارض، اذ ليس الملوك فقط نواب الله على الارض ويجلسون على عرش الله ، ولكن حتى الله نفسه يدعوهم الآلهه" . وكان جيمس الأول يسلم دائما بأنه مسئول أمام الله وليس أمام رعاياه ، وهو الذي يصدر القانون باعتباره المشرع لشعبه ،والذي اقامته العناية الالهية .

ولم يكن من المنتظر أن يقبل البرلمان في انجلترا نظرية الحق الإلهي المقدس فقد كان من آثار سياسة التيودور في العهد السابق لأسرة ستيوارت أن قوى شأن البرلمان ، فملوك اسرة تيودور رغم ان احدا لم يكن يشاركهم في سلطانهم ، إلا انهم أبقوا على البرلمان وأشركوه في المسائل الهامة واتخذوه اداة تعاونهم في تنفيذ سياستهم بصفة عامة . وكان من جراء ذلك أن قوى البرلمان الانجليزي لدرجة انه صار من المتعذر –عندما بدأ عهد اسرة ستيوارت- الغاء البرلمان وتطبيق نظرية الحق الالهي في الحكم. ولذلك فقد حدث في عهد

جيمس الأول أول احتكاك بين الملك والبرلمان، مما مهد لتجربة قياس قوة كل منهما إلى الآخر.

وعلى العموم، فقد تولى جيمس الأول الحكم في ظروف مواتية، فانجلترا كانت بفضل انتصارها على الأسطول الاسباني عام ١٥٨٨م، قد حققت لنفسها السيطرة البحرية وعظم نفوذها في السياسة الخارجية، بينما كان خطر الانقسام الديني قد زال في الداخل بإعلان سيادة الكنيسة الانجليكانية والمذهب الواحد في عام ١٥٩٩م، ودخل البيوريتان المتطهرون في الكنيسة الانجليكانية. ولقد كان من الممكن إرضاء البيوريتان بالتنازل عن بعض المظاهر الشكلية الخاصة ببعض الطقوس الكنسية، ولكن جيمس الأول لم يحاول الإبقاء على البيوريتان داخل الكنيسة الانجليكانية، وذلك بسوء تصرفه وضيق افقه.

فعندما اجتمع بهم بعد قليل من اعتلائه العرش في مؤتمر عقد في هامبتون بورت(يناير ١٦٠٤) للنظر في الإصلاح المطلوب للكنيسة، حمل جيمس الأول على البيوريتان حملة شديدة واعتبرهم أعداء للنظام الانجليكاني، الذي أراد جيمس أن يتخذه أداة لدعم سلطان الحكومة المطلقة والمستندة على حق الملوك المقدس في الحكم، هذا بينما لم يكن البيوريتان في الحقيقة من الثوريين، وكانوا من اشد خصوم البابوية، إلى جانب قبولهم الكنيسة الانجليزية.

وكان الكاثوليك هم الآخرون يتوقعون أن تخف وطأة القوانين القاسية التي صدرت ضدهم في العهود السابقة ، ولكن جاءت سياسة جيمس الأول الدينية مخيبة لآمالهم فحنقوا عليه وتامروا على التخلص منه ومن اعضاء مجلس اللوردات والعموم دفعة واحدة ، وانتهزوا فرصة افتتاح دورة برلمانية جديدة ووضعوا المتفجرات في أقبية البرلمان لنسفه في ٥ نوفمبر عام ١٦٠٥. ولكن الحكومة اكتشفت المؤامرة التي أطلق عليها اسم مؤامرة البارود ، وقبضت

على جاي فوكس الذي كان عليه اشعال البارود ، كما قبضت على زملائه وقضت باعدامهم . وكان من اثر هذه المحاولة أن زادت كراهية الشعب الانجليزي للكاثوليكية ، وزادت مخاوفه منها ، ولم يعد يثق بها ، وجعل الكاثوليك موضع الاضطهاد قرنين كاملين حتى عام ١٨٢٩.

ولم يلبث جيمس الأول أن دخل في نزاع مع البرلمان بسبب الأزمة المالية .وكان من المحتمل بشيء قليل من الحكمة والمهارة استمالة البرلمان الى جانب العرش لاصلاح الحالة المالية لسد العجز المطلوب، غير ان جيمس آثر الاجراءات العنيفة ، فامر بتحصيل عدة ضرائب من غير ان يطلب موافقة البرلمان عليها على أمل ان يذعن البرلمان في النهاية ويقرها بعد ذلك .

ولكن جيمس الأول لاقى معارضة شديدة في البرلمان،فاخذ يحل مجالسه الواحد تلو الأخر، أو يؤجل انعقادها ، كما حدث في الفترة بين عامي(١٦١١ - ١٦٢١م). وحينئذ انتقلت المسألة من نزاع حول إقرار بعض الضرائب المعينة إلى المناقشة في مبدأ سياسي خطير وهو حق الملك في فرض ضريبة دون موافقة البرلمان. ولم يكن هناك مفر من التوصل إلى حل لهذه المسألة إن عاجلا أو أجلا ، سواء بالطرق السلمية أو بالتصادم بين الملك وممثلي الأمة.

ازدياد كراهية الشعب لجيمس الأول بسبب سياسته الخارجية:

كانت السياسة الخارجية التي سار عليها جيمس الأول آخر العوامل الرئيسية التي زادت من كراهية الشعب له، فقد كان جيمس يناصر فكرة السلام في أوروبا بعد الحروب الدينية الطويلة. ولا شك في أن سياسة السلام كانت في ذاتها سياسة حميدة ، ولكن الذي جعل الشعب الانجليزي يكرهها ان الطريقة التي حاول بها جيمس تنفيذ هذه السياسة ،

قامت على قاعدة الاتفاق مع اسبانيا الكاثوليكية ، وهي عدو انجلترا القديم . وكان جيمس يعتقد أن اتفاق الدول الكاثوليكية الأولى في أوروبا (أي اسبانيا)مع الدولة البروتستانتية الاولى (أي انجلترا) سيؤدي حتما الى اقرار السلام في القارة الاوروبية . وكان الأسبان يستغلون هذه الرغبة من ناحية جيمس لرعاية مصالحهم على حساب انجلترا ، فقد غضب الشعب الانجليزي عندما اعدم الملك في عام ١٦١٨(سير والتر رالي) احد ابطال عهد اليزابيث بسبب مهاجمته قرية صغيرة في ممتلكات اسبانيا بامريكا الجنوبية .

ولما نشبت حرب الثلاثين عاما عام ١٦١٨ في ألمانيا ، واشتبك فريدريك أمير البلاتينات وصهر جيمس في صراع مع الكاثوليك التزم ملك انجلترا الحياد إبقاء على علاقته الطيبة مع اسبانيا ،وعلى أمل أن تنتهي الحرب في صالح صهره. ولكن الأمر انتهى بطرد فريدريك من ألمانيا ،ومع انه كان واضحا انه لا مفر من الدخول في حرب إذا أراد إرجاع فريدريك إلى عرشه ، فقد بقي جيمس يعلل نفسه بالمفاوضة السلمية مع اسبانيا ، ثم حاول ان يزوج ابنه من اميرة اسبانيا على امل توثيق العلاقات السلمية بين الدولتين ، وبالتالي ارجاع فريريك سلميا الى عرشه . فلما باءت هذه الخطط بالفشل وتأهب للحرب ضد اسبانيا عاجلته المنية في مارس عام ١٦٢٥ وخلفه ابنه شارل الأول .

النضال بين البرلمان وشارل الأول:

في عهد شارل الأول (١٦٢٥- ١٦٤٩) ظهرت بصورة خطيرة آثار المشاكل التي اوجدها جيمس الاول بسبب موقفه من البيوريتان من ناحية ومن البرلمان من ناحية اخرى. فقد أيقظ جيمس الأول في البيوريتان من شعبه روح المقاومة الدينية، كما جعل- بسبب اصطدامه مع البرلمان- مسألة الرقابة على الشؤون المالية مثار نزاع بين الأمة الممثلة بنوابها في البرلمان وبين الملك. ولما كان شارل الأول كأبيه شديد التعلق بالسلطة الاستبدادية المطلقة،

كثير التشبث بالآراء التي رسخت في نفسه عن حق الملوك المقدس، فقد سار في الخصومة ضد البيوريتان والبرلمان في نفس الطريق الذي سار فيه جيمس، وفي وقت قصير جدا أثار الشعب والبرلمان ضده.

وفي السنة التي تولى فيها شارل الأول العرش تزوج من أميرة فرنسية هي هنريتا ماريا شقيقة لويس الثالث عشر ملك فرنسا. وكان الشعب ينفر من هذه الزيجة، ولكن كراهيته لم تلبث أن زادت عندما تبين أن شارل الأول اتفق مع ملك فرنسا لويس الثالث عشر على وضع الكاثوليك الانجليز تحت حمايته، الأمر الذي اغضب البرلمان غضبا شديدا. ثم زاد الهياج عندما ذاع أن الملك أنعم على بعض رجال الدين الانجليكان الذين هاجموا العقيدة الكاثوليكية التي يدين بها الكثير من الانجليز، الأمر الذي اعتبر تهاونا في العقيدة، وأثار شكوك الناس عامة حول نوايا الملك وجعل مجلس العموم يتخذ منذ ذلك الوقت سياسة بروتستانتية صارمة، تمثلت في تمسكهم بضرورة إزالة ما تبقى عالقا في النظام الانجليكاني من مظاهر أو طقوس كاثوليكية. ولما كان شارل الأول شديد التمسك من جانبه بهذه الطقوس والمظاهر فقد اتسعت هوة الخلاف على المسألة الدينية بين الملك والبرلمان.

ولم تكن السياسة الدينية وحدها هي السبب في نفور الشعب من شارل الأول، بل أن سياسته الخارجية تعد مسؤولة هي الأخرى عن ذلك. وقد ذكرنا أن والده جيمس كان يتأهب للحرب ضد اسبانيا قبيل وفاته، فقرر شارل السير في سياسة الحرب ضد اسبانيا. ولم يكن البرلمان يمانع في تأييد هذه الحرب، لأن اسبانيا هي العدو التقليدي لانجلترا منذ عهد إليزابيث. ولكن البرلمان كان يشترط في مقابل المساعدات المالية التي كان يمد بها الملك أن يتولى قيادة الجيوش الانجليزية قواد موثوق بمهارتهم حتى تنجح الحرب.

وعهد شارل بقيادة الجيوش إلى دوق بكنجهام المقرب إليه، وكانت تنقصه الكفاءة، ففشلت الحملة التي أرسلت إلى قادش ضد اسبانيا عام ١٦٢٦م، ورفض مجلس العموم إعطاء أي منح أو مساعدات مالية أخرى إلا إذا اخرج بكنجهام من الحكومة. ولما كان شارل يرفض أن يملى عليه شيء خاص بأحد وزرائه، فقد تأزمت الأمور بينه وبين البرلمان.

وفي عام ١٦٢٧م زاد الموقف سوءا عندما أضاف الملك إلى الحرب مع اسبانيا حربا أخرى مع فرنسا أراد منها معاونة الهيجنوت البروتستانت الذين كانت تحاصرهم قوات ريشيليو في لاروشيل ،ولما تعذر على الملك الحصول على ضرائب برلمانية للإنفاق منها على هذه الحرب، فقد لجأ إلى إرغام الأغنياء على إعطاء قروض إجبارية، فتزايد السخط عليه. كما أن الحملة التي أرسلت إلى لاروشيل كانت بقيادة دوق بكنجهام ولم يكن مصيرها أحسن من مصير الحملة السابقة إلى قادش باسبانيا، إذ لحقتها الهزيمة واضطرت إلى العودة إلى انجلترا بعد أن فقدت ٤٠٠٠ رجل.

وعلى ذلك، فحينما اجتمع البرلمان عام ١٦٢٨م، كان شديد السخط على الحكومة، وأصر قبل الموافقة على المعونة المالية أن يعمل الملك من جانبه على إزالة كل المساوئ التي يشكو منها البرلمان. وقد قدمت مطالب البرلمان فيما يعرف ب (ملتمس الحقوق)، وهو بمثابة عهد جديد ينص على الحقوق المعترف بها للأمة منذ (العهد الاعظم)، فاعلن ملتمس الحقوق أن القروض الاجبارية غير قانونية وقرر ايجاد الضمانات التي تكفل حماية الافراد من السجن من غير محاكمة قانونية، ومنع نزول الجنود في بيوت الاهالي. ولم يسع شارل إلا الموافقة على ملتمس الحقوق نظرا لحاجته إلى المال.

غير أن الموافقة على ملتمس الحقوق لم يترتب عليها إزالة كل ما كان يشكو الناس منه، ولم تلطف شيئا من حده سخطهم على الحكومة، عندما استمر الدوق بكنجهام مقربا من الملك. ولقد ظهر مدى هياج الخواطر عندما قتل احد المواطنين دوق بكنجهام في أغسطس عام ١٦٢٨م في بورتسموث، في الوقت الذي كانت تجري فيه الاستعدادات لإرسال حملة جديدة إلى لاروشيل. لكن حزن الملك على مقتل صفية لم يجعله يعدل عن إرسال الحملة التي باءت بالفشل هي الأخرى ، وبذلك تحمل الملك وحده مسؤولية هذا الفشل .

وحدث هذا عندما كان من المتوقع أن يشتبك الملك قريبا في صراع خطير مع البرلمان .فقد جرت العادة في انجلترا على ان يقر البرلمان في بداية عهد كل ملك او ملكة تحصيل نوع من الضرائب الجمركية على النبيذ والبضائع لتسري طوال حكم هذا الملك . وكانت الدولة تعتمد اعتمادا كبيرا على المتحصل من هذه الضرائب في سد نفقات الحكم والإدارة . وكان قد حدث مصادفة أن اغفل البرلمان إقرار هذه الضرائب عند اعتلاء شارل العرش ، فكان عليه ان يقرها الان ، فانتهز مجلس العموم الفرصة وصمم على رفض الموافقة على هذه الضرائب ما لم يقدم الملك ضمانات جديدة لقيام حكم سليم . وعندما اجتمع المجلس في عام ١٦٢٩ سار النضال بين الملك والمجلس ، ولم تفلح محاولات التفاهم بينهما . ونما إلى علم النواب أن الملك مصمم على حل البرلمان ، فاتخذ المجلس – وسط عاصفة من الخواطر الهائجة – طائفة من القرارات الخطيرة ، كان منها اعلانه ان الضرائب الجمركية السالفة الذكر غير قانونية ،وان كل من يدفعها خائن لبلاده ، كذلك يعتبر خائن كل من يحاول ادخال تغيرات دينية . وهكذا تضافرت المسألة المالية مع المسالة الدينية على إثارة النضال الذي كان بمثابة حرب حقيقية بين الملك والبرلمان .

حكومة شارل الأول المطلقة :

حكم الملك شارل الأول من غير برلمان بين سنتي ١٦٢٩- ١٦٤٠ . وكان له في بادئ الأمر القدرة على الاستغناء عن البرلمان بفضل الخصائص التقليدية التي كانت للسلطة في ذلك الوقت . ومنها أن الملك غير مرغم على دعوة البرلمان للانعقاد إطلاقا إلا إذا كان يريد ضرائب جديدة ، ففضل الملك ان يكتفي بالموارد التي كانت لديه على ان يدعو البرلمان . واستلزمت هذه الخطة مراعاة الاقتصاد في المصروفات ، وقبل كل شيء انهاء حروبه مع اسبانيا وفرنسا لما تتكلفه من نفقات طائلة . لذلك عقد شارل الصلح في أواخر عام ١٦٣٠م مع اسبانيا وفرنسا .

ومع ذلك، فقد بقي الناس يدفعون الضرائب الجمركية رغم قرار مجلس العموم ويدفعون كذلك الضرائب العادية، لأن احدا لم يكن مستعدا حتى ذلك الوقت لنبذ فروض الولاء للملك . وكان المتحصل من هذه الضرائب يكفي لسد نفقات الإدارة عامة دون الحاجة إلى فرض ضرائب جديدة ، وبالتالي دون حاجة الى دعوة البرلمان.فحكم شارل حكما مطلقا. وكان مستشاره في شؤون الكنيسة واحدا من رجالها هو(وليم لود)، الذي عينه شارل في عام ١٦٣٣ رئيسا لاساقفة كانتربري ورئيسا أعلى للكنيسة في انجلترا . وكان لود – مثل شارل – يهتم بالطقوس ومظاهر الكنيسة الشكلية . فاتخذ في السنوات القليلة التالية إجراءات صارمة ضد أعداء الطقوس والمظاهر الكنسية الانجيليكانية .

أما في شؤون الدولة ، فقد استعان شارل الاول بخدمات (سير توماس وينتورث) الذي عرف فيما بعد بلورد سترافورد . وكان هذا يؤمن بضرورة وجود حكومة قوية ويؤيد الملك في مناهضته للشعب والبرلمان .والواقع أن هذه الإجراءات غير الحكيمة كانت كثيرة وأدت في النهاية إلى زعزعت مركز الحكومة المطلقة . ذلك أن شارل في عام١٦٣٤م جدد فرض ضريبة قديمة تسمى (ضريبة السفن)على الاقاليم والمقاطعات البحرية ، ثم على جميع الاقاليم

والمقاطعات الاخرى داخل المملكة في عام ١٦٣٥م. ولما كانت الطريقة المتبعة أن يطلب الملك من البرلمان إقرار مثل هذه الضريبة، ولما كان الملك لا يريد دعوة البرلمان، فقد لجأ الى الحيلة لتحصيل المال الذي يريده .

ذلك أن العادة القديمة جرت على انه عندما تكون البلاد معرضة للخطر أن يطلب الملك من الموانئ والبلاد القريبة من البحر تمد كل منها الحكومة بسفينة . وكان أن طلب شارل إمداده بهذه السفن ، ثم اعلن بعد ذلك بقليل (١٦٣٤) انه ينوي استبدال السفن بمبالغ من المال ، ثم طلب في العام التالي (١٦٣٥) كما سبق القول ان تشترك المدن الداخلية في هذه الاموال أسوة بالموانىء . ومع أن هذه الحيل قد أثارت احتجاج الشعب ، الا أنه دفع الاموال المطلوبة ، واستخدمت حصيلتها بالفعل في دعم الاسطول . غير انه حدث عندما فرضت (ضريبة السفن) مرة ثالثة عام ١٦٣٦ ، وبدا واضحا ان حصيلتها ستتحول لتكون مصدرا دائما للدخل الحكومي، .ولم يبق إلا انتظار فرصة مناسبة لتتحد البلاد باسرها لمقاومة الملكية المطلقة.

ولقد أتيحت هذه الفرصة في اسكتلندا ، حينما حاول شارل الاول – جريا على عادته في اهمال شعور الناس – ان برغم الاسكتلندبين على قبول(كتاب الصلاة) الانجليزي و طقوس الكنيسة الانجليكانية، ولذلك قامت الثورة في اسكتلندة. ووضع الاسكتلنديون ميثاقا وطنيا تعاهدوا فيه على مقاومة البدع الدينية الجديدة وكل محاولة لتغيير مذهبهم الديني بكافة الطرق والوسائل . ولما أصر شارل على موقفه ، جمع الاسكتلنديون جيشا كبيرا وبدأوا يغزون انجلترا من الشمال، فقامت الحرب المعروفة باسم (الحرب الاسقفية الاولى) في عام ١٦٣٩، والتي انتهت بهزيمة الملك ، فاضطر الى عقد الهدنة. ثم شاء شارل

الأول أن يغسل هذه الإهانة التي لحقته ، ولما كانت الحاجة الملحة الى المال تحول بينه وبين انشاء جيش جديد ، فقد اضطر شارل ان يدعو البرلمان الى الانعقاد في عام ١٦٤٠م.

البرلمان القصير:

جاء انعقاد البرلمان عام ١٧٤٠م ليحدد نهاية الحكومة المطلقة. وقد عرف هذا البرلمان باسم (البرلمان القصير)، لان حياة هذا البرلمان لم تطل لاكثر من ثلاثة اسابيع (١٣ ابريل- ٤ مايو ١٦٤٠م).

والسبب في ذلك أن البرلمان بدلا من الموافقة على الإعانات المالية المطلوبة اخذ يذكر الملك بالمساوئ التي تشكو منها الأمة، ويصر على عدم منحه إمدادات مالية، إلا إذا قبل مطالب الأمة ونفذ العهد الذي تضمنه ملتمس الحقوق. واضطر شارل الأول مرة أخرى الدخول في الحرب دون أن يكون لديه المال اللازم لمواصلتها ، وذلك عندما استأنف القتال ضد الاسكتلنديين بعد انتهاء الهدنة فيما صار يعرف باسم (الحرب الاسقفية الثانية). وانهزم شارل في هذه الحرب كما انهزم في سابقتها ، فلم يبق أمامه حل إلا أن يعقد البرلمان من جديد.

البرلمان الطويل:

وفي خريف عام ١٦٤٠م دعا شارل الأول البرلمان إلى الانعقاد. وكان يدرك انه لن يستطيع في هذه المرة أن يحل البرلمان أو يبقيه حسب هواه. وبالفعل بقي هذا البرلمان قائما لعدة سنوات، فلم يتم حله إلا في عام ١٦٥٣م، ولذلك أطلق عليه اسم (البرلمان الطويل). واجمع أعضاء البرلمان أمرهم على أن يضعوا حدا للسلطة المطلقة وان يجعلوا من المستحيل الرجوع إليها . وبدأوا بتوجيه الاتهام إلى (لورد سترافورد) بالخيانة ، فأودع السجن ثم صدر حكم باعدامه وتم تنفيذه بعد مصادقة الملك عليه في ١٢ مايو١٦٤١م. وكان البرلمان قد استصدر في بداية

١٦٤١م عدة قرارات لتأمينه ضد انتقام الملك من جهة ولوضع إرادة النواب مكان سلطة الملك السابقة من جهة أخرى، فقرر انه يجب أن يدعى البرلمان مرة على الأقل كل ثلاث سنوات ، وانه لا يجوز حل المجلس الا بارادة النواب، كما الغى الضرائب غير البرلمانية التي كان يعتمد عليها الملك مثل ضريبة السفن وضريبة الجمارك والحقوق الاقطاعية ، كما الغى (قاعة النجم) ومجلس الكنيسة الاعلى ، وهما الهيئتان القضائية و الدينية اللتان عززتا سلطان شارل الاول في عهد الملكية المطلقة.

ثورة لندن وهرب الملك:

لم يرض الملك بنزع الصلاحيات منه وبحث عن وسيلة لاستعادتها، واستغل اختلاف الأعضاء فيما بينهم حول المسائل الدينية . ورغم ازدياد شعور العداء ضد الانجليكانية في السنوات الأخيرة ، فقد كان لا يزال هناك قسم محافظ قوي متمسك بالمذهب الانجليكاني. وسرعان ما وقع الصدام بين الانجليكان وجماعة البيوريتان، فانقسم المجلس إلى فريقين على نحو مكن الملك من انتهاز الفرصة ليؤلف لنفسه حزبا جديدا من الانجليكانيين.

وفي عام ١٦٤٢م اعتقد شارل الأول أن مركزه صار قويا لدرجة تمكنه من مهاجمة أعدائه وهدم سطوة البرلمان ، فحاول ان يقبض على زعماء المعارضة في مجلس العموم، وكانوا خمسة ،رغم تمتع أعضاء المجلس بالحصانة البرلمانية. ونزل الملك إلى المجلس، ولكن الأعضاء الذين علموا برغبة الملك مكنوا زملاءهم من الهرب عن طريق نهر التيمز ، من وستمنستر الى مدينة لندن . فوجد شارل "ان العصافير قد طارت" على حسب قوله.

على أن هذه الحركة الرجعية التي قام بها الملك، أثارت عليه الشعب، وأعلنت لندن الثورة عندما تحركت بمن فيها من بحارة وجند للدفاع عن البرلمان وحماية الحرية التي كان

يتمتع بها. ولم يكن لشارل من متانة الخلق ما يجعله يواجه الموقف الذي خلقه برعونته ، أو أن يجرؤ على البقاء في لندن التي تموج بالثورة ، فاثر الهرب في مارس ١٨٤٢م قاصدا يورك وذلك بعد ستة اسابيع من هرب الملكة الى فرنسا ، وأدى هرب الملك الى اندلاع الحرب الأهلية .

الحرب الأهلية:

بدأت الحرب الأهلية عندما اتخذ الملك مقرا له في نوتنجهام وجمع حوله أنصاره ، بينما اخذ البرلمان يحشد جيشا ليخوض به المعركة ضد الملك. وسمي أنصار الملك أنفسهم بالفرسان ، وهم اتباع الكنيسة الانجليكانية والاشراف بوجه عام ، ولهم السيطرة في الشمال والغرب ، ومراكزهم الرئيسية في يورك واوكسفورد. أما أنصار البرلمان فسموا أنفسهم (ذوي الرؤوس المستديرة)، والتسمية ماخوذة من عادة قص شعر الراس عند البيوريتان ، وكانوا يسيطرون في الشرق والجنوب ، ومركزهم الرئيسي في لندن .

وفي المراحل الأولى من الحرب ، كانت الغلبة للملك ، حتى ان لندن كادت تسقط في يده . ولم يبدأ الموقف في التحول إلا عام ١٦٤٤ ، عندما برز في قيادة البيوريتان قائد شاب هو(اوليفير كرومويل) وكان بيوريتانيا متحمسا لم يلبث ان جمع حوله جيشا من البيوريتان المتحمسين مثله ، وصار هؤلاء يعرفون باسم (ذوي القلوب الحديدية) ، وكان لهم فضل الانتصار على الملكية في موقعة مرستون مور بالقرب من يورك في يوليو ١٦٤٤، وكاد كرومويل بجيشه هذا ان يقضي نهائيا على الملكية في معركة حاسمة عندما اشتبك الفرسان بعد شهور قليلة في واقعة نيو بيري ، لولا ما ظهر من سوء تصريف للامور من جانب رؤسائه؛فحمل كرومويل حملة شديدة في البرلمان على الطريقة المتراخية التي تدار بها الحرب، واستطاع ان يقنع البرلمان باتخاذ عدة اجراءات لاصلاح الجيش ، فاعيد تنظيمه على اسلوب

جديد اكثر دقة وتنظيما ،وتولى كروميل قيادة الفرسان ، بينما تولى سير توماس فيرفاكس قيادة المشاة .

ولقد استمر الملك بعد ذلك حوالي سنة يحاول تنظيم جيوشه المرتزقة أو ينتظر أن تسعفه الأحداث ، لكن دون جدوى ، حتى اضطر آخر الامر ان يسلم نفسه الى الاسكتلنديين ليقفوا بجواره امام الثورة في انجلترا . كان الاسكتلنديون قد انحازوا إلى جانب البرلمان وضد الملك منذ عام ١٦٤٣ واحتلوا شمال انجلترا. وكان انحيازهم إلى جانب البرلمان مشروطا بموافقته على تأسيس الكنيسة الانجليزية على نظام الكنيسة البرسبتيريانية المعمول به في اسكتلندا.

وثارت ثائرة البيوريتان المتزمتين في البرلمان في مبدأ الأمر ضد إملاء الأجانب إرادتهم عليهم ، وانقسمت الجبهة الداخلية في الثورة الى معسكرين : معسكر من انصار البرسبتبريانية ، وهم الاغلبية ، واقلية اطلقت على نفسها (المستقلين) ، وتمتعت هذه الأقلية بتأييد كروميل (ذوي القلوب الحديدية) فاضطر البرلمان الى الالتزام جانب الحذر في معالجة هذه المسألة ، لان الحرب لا تزال قائمة ومن الضروري عدم اثارة الجنود . لكن الموضوع أوقظ من سباته بعد موقعه نازبى (يونيو ١٦٤٥) التي انتصر فيها خصوم الملك وتفرقت جموع الجيش الملكي وسلم الملك نفسه للاسكتلنديين . وكان الملك يعلم بالخلافات السائدة في صفوف البرلمانيين من جهة ، وبين البرلمانيين وحلفائهم الاسكتلنديين من جهة اخرى ، فتوهم انه يستطيع الاستفادة من هذا الانقسام ، على اساس انه اذا وقع الصدام بين الجيش الثائر وهو يمثل المستقلين ، وبين الاكثرية البرلمانية وهي تمثل البرستيريين ، فان كل من الفريقين سيسعى للتحالف مع الملك .وكان تقدير الملك خاطئا ومصيبا في نفس الوقت .

ذلك أن الاسكتلنديين سلموا الملك إلى البرلمان في نظير مبلغ من المال عام ١٦٤٧، وانقسم البرلمانيون الى فريقين : برسبتريون يريدون الوصول الى تسوية سريعة مع الملك ، بينما تمسك الجيش بشروط معينة لتتم هذه التسوية واشترك الاسكتلنديون في المكائد التي صار كل فريق يدبرها للاخر ، وانتهت هذه الخلافات بقيام الحرب بين اعداء الملك عام ١٦٤٨ : البرسبتريون ومعهم الاسكتلنديون ضد الجيش والمستقلون ، وذلك بالضبط ما كان يقدرة الملك . غير أن آمال شارل سرعان ما انهارت عندما انتصر كروميل وفير فاكس على أعدائهما ورجع الجيش إلى لندن للانتقام من أولئك الذين أثاروا الحرب الأهلية من جديد .

محاكمة شارل الأول وإعدامه :

وفي ٦ ديسمبر عام ١٦٤٨ اقتحم الجنود البرلمان بقيادة (بريد) ليطهروا مجلس العموم بطرد حوالي مائة وأربعين نائبا منه ، ويعرف هذا الانقلاب باسم (حركة تطهير بريد). وبقى من الأعضاء بعد هذه الحركة حوالي خمسين أو ستين نائبا أصبحوا مجرد أدوات في يد الجيش ، وصار لذلك يطلق عليهم – تحقيرا لشأنهم – البرلمان العاجز .أما خطوة الجيش التالية فكانت تقديم الملك للمحاكمة ، ولما لم يكن في الدستور ما ينص على محاكمة الملك فقد انشأ مجلس العموم هيئة او محكمة عليا من مائة وخمسين مندوبا يعملون كقضاة في نفس الوقت . وحوكم الملك أمامها واتهم بالخيانة واعدم في ٣٠ يناير عام ١٦٤٩م شنقا . ومما يجدر ذكره أن شارل الأول ظل حتى وفاته يؤمن بأنه كان على حق في نزاعه مع البرلمان.

الجمهورية والحماية(١٦٤٩- ١٦٦٠):

بعد إعدام الملك بأيام قليلة، قرر البرلمان إلغاء مجلس اللوردات في ٦ فبراير عام ١٦٤٩م الذي رفض الانحياز إلى جانب الجيش.وفي اليوم التالي قرر البرلمان الغاء الملكية و

اقيمت الجمهورية مكانها . فقد انتخب البرلمان (العاجز) في ١٤ فبراير عام ١٦٤٩م هيئة للحكم اطلق عليها مجلس الدولة تكون من ٤١ عضو كان منهم كروميل. وفي ١٩ مايو أعلن أن انجلترا جمهورية ودولة حرة.

أما هذه الجمهورية الجديدة فقد كان عليها أن تواجه مشاكل عدة ، فقد نادت اسكتلنده و ايرلندة بشارل الثاني ملكا مكان ابيه، وقرر مجلس الدولة ارغامهم على قبول النظام الجديد وارسال كروميل لاخضاعهم. ولما كانت سلطة انجلترا لم تتوطد بعد في ايرلندة، فقد اتخذ كروميل محاولة القضاء على الثورة في ايرلندة ذريعة لبسط نفوذ انجلترا هناك وأوقع بالايرلنديين مذبحة كبيرة عام ١٦٤٩. وباع المئات من النساء والأطفال كما يباع العبيد ، وانتزع الاراضي من اهلها وسلمها الى المستعمرين الانجليز فهاجر الكثيرون من الايرلنديين الى الخارج ، وانحدر من بقى منهم الى صفوف العمال المستأجرين.أما في اسكتلندا فقد انتصر كروميل كذلك على الاسكتلنديين واضطرهم إلى قبول الصلح مع انجلترا على أساس الاتحاد معها، وبذلك صار معترفا بالجمهورية في بريطانيا العظمى وايرلندا.

وكانت المشكلة التالية بعد أن هدأت الأمور في الداخل هي إيجاد نوع من الحكم يكفل الاستقرار الدائم في البلاد. ولم يشارك في هذه الرغبة سوى جماعة البرلمان(العاجز) التي استمرت متمسكة بمركزها، فقرر كروميل ان يصفيها ولذلك اقتحم في ٢٠ ابريل عام ١٦٥٣م مع جماعة من جنوده البرلمان، وطرد اعضاءه ثم حل الهيئة التنفيذية العليا ، وهي مجلس الدولة . وكان الحل الطبيعي هو إيجاد برلمان منتخب انتخابا حرا لمواجهة المشاكل . ولكن مثل هذا البرلمان كان حتما سيدعو شارل الثاني (ستيوارت) لتولي عرش ابائه ، ولم يكن هذا ليرضي كروميل . وعلى ذلك ، فقد قبل كروميل دستورا جديدا اطلق عليه

(اداة الحكم) في ١٦ ديسمبر ١٦٥٣ من وضع ضباطه .وهذا الدستور يتكون من ٤١ مادة وينص على وضع السلطة العليا او الرئيسية في يد اوليفر كرومويل تحت لقب (حامي الجمهورية) اما السلطة التشريعية فقد وضعت في يد برلمان مكون من مجلس واحد منع من عضويته كل انصار الملك .

وهكذا بدأت حكومة كرومويل التي عرفت (بالحماية) واستمرت تحكم ٥ سنوات من ١٦٥٣- ١٦٥٨ كانت مليئة بالمشاكل ، والتي بدأت عندما أراد البرلمان تغيير نظام الحكم القائم فلم يكن من كرومويل الا ان حله في ١٦٥٥ وبقي يحكم من غير برلمان.وتكررت محاولة الاعتداء على حياته فقامت الثورات الملكية ولكنه استطاع ان يتغلب على هذه المتاعب كلها . وفي عام ١٦٥٦ دعا كرومويل برلمانه الثاني للاجتماع ، وتعاون معه هذا البرلمان بعض الوقت ، بل ان البرلمان عرض على كرومويل التاج فرفضه . لكن لم يلبث النزاع أن قام بينهما ، مما جعل كرومويل يأمر بحل هذا البرلمان في فبراير عام ١٦٥٨ .

وكان كرومويل إبان هذه الحوادث كلها يعمل جاهدا لتحقيق مبدأ التسامح الديني للمسيحيين البروتستانت الذي يؤمن به من حيث حماية القانون لهم سواء أكانوا من البيوريتان أو الانجليكان أو البرسبتيريين . ولكن التعصب الديني كان هوس العصر ، فتعذر تحقيق هذه السياسة ، حتى اضطر هو نفسه الى التخلي عن مبادىء التسامح التي نادى بها . وفي عام ١٦٥٥ بدأ يضطهد المخالفين لمذهبه أي الانجيليكانيين حتى بلغ به الحال قبل وفاته أن صار يعتقد أن الجمهورية البيوريتانية قائمة ، ليس بسبب اعتمادها على عقيدة دينية واحدة لكن بفضل ما يبديه رجل واحد هو كرومويل من نشاط عظيم واراده قوية،وهكذا لم يقدر لكرومويل النجاح في سياسته الداخلية أي في المسألتين الدينية والدستورية .

ومع ذلك فقد لقيت سياسة كروميل الخارجية نجاحا كبيرا ،اذ اشتبكت حكومة الحماية في حرب مع هولندا(١٦٥٢- ١٦٥٤) بسبب قانون الملاحة الذي اصدره البرلمان الطويل في ٩ اكتوبر عام ١٦٥١ . فقد كان الهولنديون في القرن السابع عشر يحتكرون تجارة النقل البحري وأراد الانجليز أن يكون لهم نصيب في هذه التجارة ، فاصدر البرلمان الانجليزي قانون الملاحة السابق ذكره ، والذي ينص على ان يكون من حق السفن الانجليزية وحدها نقل المتاجر الواردة الى انجلترا أو المصدرة منها وان تحمل سفن البلاد الاخرى البضائع او السلع التي تنتجها فقط ، واثر الهولنديون الحرب لكن الهزائم التي لحقت بهم لم تلبث ان ارغمتهم على قبول الصلح في ابريل عام ١٦٥٤ ،على اساس قانون الملاحة الجديد ،إضافة لتعهدهم بطرد اسرة ستيوارت اللاجئة اليهم .

وفي عام ١٦٥٧ دخل كروميل في محالفة مع فرنسا ضد اسبانيا ، واثناء الحرب التي نشبت استولى الانجليز من الاسبان على جزيرة جمايكا من جزر الهند الغربية ، كما استولى على دنكرك بالاراضي المنخفضة الاسبانية بعد انتصارهم – بالاشتراك مع الفرنسيين – على الجيوش الاسبانية عام ١٦٥٨. وهكذا ارتفع اسم انجلترا مرة أخرى في القارة الأوروبية وعاد إلى المكانة التي كانت له أيام إليزابيث .

وفي ٣ سبتمبر عام ١٦٥٨ مات كروميل، وبوفاته ماتت الجمهورية أو حكومة الحماية . وسادت الفوضى البلاد لحوالي سنه بعد وفاته حكم جزء منها ريتشارد بن كروميل ، وكان ضعيفا تنقصه الكثير من الصفات العسكرية وصفات الرئاسة . ولم يلبث أن اعتزل الحكم في ابريل عام ١٦٥٩ ، فسادت الفوضى واصبح الجيش هو المسيطر على الامور. وانقسم الجيش إلى قسمين جيش اسكتلندا بقيادة جورج مونك من أكفأ قواد كروميل ونائبه في اسكتلندا ، وجيش انجلترا بقيادة جون لامبرت وكان يخيل الى الاخير ان بوسعه

القيام بالدور الذي قام به كروميل ، فدعى البرلمان الطويل الى الانعقاد . ثم ظهر أن البرلمان يريد إخضاع الجيش لسلطانه ، فاراد لامبرت ان يمنعه من الانعقاد بالقوة ، فتدخل مونك بجيشه تحدوه الرغبة في وضع حد للخلافات السائدة وانقاذ البلاد من الفوضى ، وكان يعتقد ان السبيل الوحيد لهذا كله هو عودة اسرة ستيوارت الى الحكم مع اعادة الدستور القديم وتعزيزه .

وكان الشعور العام سببا لتقبل هذا الحل،فزحف مونك على لندن وقبض على لامبرت وحل البرلمان وأجرى انتخابات جديدة حرة أسفرت عن أغلبية من الملكيين، ولما كان شارل الثاني قد قبل أن يعلن العفو والتسامح الديني إذا أعيد للعرش فقد صدر من جانبه بلاغ رسمي بذلك . وفي أول مايو عام ١٦٦٠ بحث البرلمان هذا البلاغ وقرر في نفس اليوم إعادة الملكية،وفي ٢٥ مايو دخل شارل الثاني لندن عاصمة ملكه .

شارل الثاني وعودة الملكية:

كان شارل الثاني(١٦٦٠- ١٦٨٥) من أكثر ملوك انجلترا قربا من قلوب الشعب. ولم يكن حب الشعب له راجعا إلى صفاته وفضائله بقدر ما كان تعبيرا عن رد الفعل الذي أحدثه قيام الجمهورية ونظام الحماية،فعودة شارل الثاني لا تحدد فقط نهاية التجربة الجمهورية في تاريخ انجلترا ، بل تبرز أيضا نبذ فكرة السياسة البيوريتانية الصارمة العنيفة على المجتمع. وكان شارل الثاني قد عاش في فرنسا وتأثر بالحياة الفرنسية إلى حد بعيد ، وخصوصا بما كان لويس الرابع عشر قد ادخله في بلاطه من تقاليد. فلما عاد شارل إلى انجلترا كان رسولا لهذه العادات والتقاليد الفرنسية في بلاطه حتى أطلق عليه اسم (الملك المرح) . وكان هذا يناسب تماما الحالة النفسية التي وجد عليها الشعب الانجليزي بعد فترة طويلة من الحروب الأهلية و الخلافات الداخلية والمذابح والاضطهادات.

ولم يكن لشارل الثاني شخصية قوية ، فلم يتصف بالعناد او التشبع بنوع معين من المبادىء مثل ابيه، بل كان سهلا يضع مسراته وملذاته فوق كل اعتبار .وما أن أعيدت الملكية إلى انجلترا حتى طغت الرغبة عند المنتصرين في الانتقام من خصومهم البيوريتان . فقد كان العفو العام الذي أصدره الملك من هولندا خاضعا لمراجعة البرلمان . ولكن البرلمان قرر معاقبة من تسببوا في قتل شارل الأول ، فاعدم ثلاثة عشر من الذين اتهموا بالاشتراك في قتل الملك ، كما اخرجت جثة كرومويل من قبره ومثل بها . وباستثناء هذا لم تكن عودة الملكية مصحوبة في الحقيقة بما يماثلها في تاريخ البلاد الأخرى من حوادث العنف والاضطهاد ، وكان هذا يرجع الى اعتدال الملك شارل الثاني .

وخلاصة القول إن عودة الملكية لم تكن على حساب المكاسب التي كسبها الشعب الانجليزي في نزاعه مع شارل الاول، ويكفي للدلالة على هذا ان يذكر ان أي ملك بعد ذلك لم يحاول ان يناقش حق البرلمان في مراقبة الضرائب. .

ورغم هذا فقد عادت الملكية إلى انجلترا منتصرة، ولقد أطلق على البرلمان الذي انتخب عام ١٦٦١ (برلمان الفرسان) اشارة الى انه برلمان الملك – وقدر له البقاء ١٨ سنة أي حتى ١٦٧٩ – وهي تسمية مطابقة تماما لموقف وسلوك هذا البرلمان الذي كان ملكيا اكثر من الملك شارل الثاني نفسه ، وكان ضمن تشريعاته الاولى تشريع ينص على تحريم حمل السلاح ضد الملك وبهذا اعاد روح البرلمان لنظرية عدم المقاومة ، كما اعلن رأيه في الحرب الاهلية السابقة بأنها تمرد .

ولكن المسألة الملحة التي واجهة البرلمان كانت المشكلة الدينية . فالانقسام الديني بين المذاهب المتعددة كان كبيرا وواسعا . فهل تترك هذه المذاهب تمارس حقوقها الدينية بحرية أو يفرض عليها الرضوخ لكنيسة وطنية رسمية ؟ أما برلمان الفرسان فقد وجد فيه

جماعة من الملكيين الرجعيين الذين لا يقبلون إلا رأيا واحدا ، هو خضوع الجميع للكنيسة الانجليزية . ولذلك ففي عام ١٦٦٢ أصدر البرلمان تشريعا يسمى (قانون المذهب الواحد) لتنظيم الكنيسة الجديدة الموحدة . وبمقتضى هذا التشريع فرض كتاب الصلاة الانجليكانية على الجميع ، ورفض ما يقرب من الفين من رجال الدين الرضوخ لهذه الاوامر ، ففصلوا عن مناصبهم،وأطلق عليهم اسم (المخالفون) .

كان خروج هذا العنصر البيوريتاني حادثا هاما في تاريخ انجلترا الديني .فحتى ذلك الوقت كان البيوريتان بصفة عامة لا يريدون الانفصال عن لكنيسة القومية إنما كل ما كانوا يهدفون إليه هو تغيير بعض المظاهر الكنسية والطقوس.. ولكن برلمان الفرسان كان آخر من يفكر في الحرية الدينية . واتجه إلى كبت(المخالفين)، فقد ادخل نظام ديني صارم في الاضطهاد . ففي عام ١٦٦١ أصدر تشريعا يعرف (بقانون النقابة الحرفية) وهو يحرم على أي فرد ان يشغل وظيفة حكومية الا اذا كان تابعا في حياته الدينية لكنيسة انجلترا ، وكان الهدف من هذا القانون تحطيم قوة البيوريتان في المدن ، حيث كان يتمتعون بنفوذ كبير. والحقيقة أن السبب في سير برلمان الفرسان على سياسة الاضطهاد مع (المخالفيين) ، كان الخوف من فتح باب التسامح الديني على مصرعيه للكاثوليك ، سيما وان الاتجاه الملكي يسير نحو ذلك ، فقد كان من جراء تأثر شارل بالملكية الفرنسية والحياة الفرنسية ان بدأ البلاط الانجليزي يتخذ الطابع الكثوليكي شيئا فشيئا ، حتى ان بعض رجال البلاط ومنهم جيمس دوق يورك شقيق شارل الاصغر اعلنوا عودتهم الى الكنيسة الكاثوليكية ، ولم يمنع شارل نفسه من اعلان كاثوليكيته غير خوفه من شعبه .

وانعكس حب شارل لفرنسا في سياسته الخارجية أيضا فقد سبقت الإشارة إلى المنافسة التجارية بين هولندا وانجلترا والى قانون الملاحة عام ١٦٥١ وكيف أدى إلى قيام

الحرب بين الدولتين . وكان النزاع شديدا حول الادعاءات الاستعمارية للطرفين في جزر الهند الشرقية وعلى طول الساحل الأمريكي . ثم أضيف إلى هذا إعادة العمل بقانون الملاحة القديم في عام ١٦٦٠ ، فكان لا بد من قيام الحرب بينهما . واتخذت الحرب ميادينها في جميع البحار لثلاث سنوات (١٦٦٤ – ١٦٦٧) ، فلما عقد الصلح اضطر الهولنديون ان يسلموا الانجليز عاصمة مستعمرتهم في العالم الجديد وهي امستردام الجديدة فاطلق عليها نيويورك تكريما لدوق يورك اخ الملك. وفي معاهدة دوفر عام ١٦٧٠م استطاع لويس الرابع عشر أن يستميل شارل إلى جانبه ضد هولندة مقابل مقدار معين من المال سنويا ، كما تعهد شارل بإعلانه الكاثوليكية فيما بعد نظير مساع لويس العسكرية له ضد شعبه إذا ثار عليه.

وفي عام١٦٧٢م انقض لويس وشارل فجأة على هولندا فيما يسمى (بالحرب الهولندية الثانية)، وبينما كانت نيران الحرب على وشك الاشتعال اذاع شارل ما يسمى (باعلان الغفران) الذي يوقف تنفيذ جميع اجراءات العقوبة ضد الكاثوليك و المخالفين، الأمر الذي أدى الى حدوث هياج شديد ،فلما اجتمع البرلمان اصر على ان يسحب الملك اعلانه، واضطر شارل الى الرضوخ وبهذه الهزيمة الداخلية ضعف مركز شارل الخارجي ، أي في الحرب الهولندية، فتخلى عن لويس وعقد الصلح مع اعداءه في عام ١٦٧٤م .ورغم انتصار البرلمان في موضوع (اعلان الغفران) الا ان سلوك شارل اثار شكوك البرلمان وجعله يمعن في سياسة الاضطهاد الديني، فاصدر في عام ١٦٧٣م تشريعا يسمى (تشريع الاختيار) ، وهذا القانون يحتم على كل من يشغل منصبا مدنيا اوعسكريا في الدولة ان يتبع لكنيسة انجلترا ، وكان معنى هذا ان يتخلى اخ الملك الدوق يورك عن منصبه كأدميرال أعلى لانه يعتنق الكاثوليكية.

ثم جاءت حادثة المؤامرة البابوية لتزيد من حدة الاضطهاد ضد الكاثوليك . ذلك أن رجلا سيء السلوك والسمعة يدعى (تيتوس اوتس) اختلق أمام القضاء قصة مؤداها انه اكتشف مؤامرة كاثوليكية لاغتيال الملك وتنصيب شقيقه دوق يورك مكانه ، ومع انه كان من الواضح كذب اوتس واختلاقه لهذه القصة التي لا اساس لها من الصحة ، الا ان هذه القصة لقيت قبولا في الجو المشحون بالشكوك في ذلك الوقت، فاعدم عدد من كبار الكاثوليك ، واضيف الى قانون الاختبار نص يحرم على الكاثوليك دخول البرلمان .

وفي عام ١٦٨٥م توفي شارل الثاني ، ويحدد حكمه ظاهرة هامة في تاريخ الحياةالسياسية في انجلترا ، الا وهي ظهور حزبي (الهويج) و(التوري) . وذلك أن وفاة شارل الثاني جعلت أخاه جيمس دوق يورك الوريث الوحيد للعرش ، وكان جيمس كاثوليكيا ، فظهر لذلك حزب يسمى الهويج يقترح اقصاء اخ الملك عن العرش باعتباره كاثوليكيا ، بينما ظهر حزب اخرهو التورى الذي يتمسك باتباع نظام الوراثة بدقة. وكانت أهمية هذا الخلاف أن انجلترا عرفت لأول مرة في تاريخها حزبين مختلفين لكل منهما برنامج سياسي محدد وتنظيم ثابت. وقد قدر لهما أن يتنافسا على السلطة في انجلترا لما يزيد عن قرنين فيما بعد تحت اسم حزبي الأحرار والمحافظين

جيمس الثاني والثورة البيضاء:

تولى جيمس الثاني العرش (١٦٨٥- ١٦٨٨) بعد اخيه شارل الثاني ، وكان كاثوليكيا ،ولم يحاول اخفاء كاثوليكيته كما اعلن عن عزمه على اعادة انجلترا الى حوزة الكنيسة الكاثوليكية . وكانت الحكمة تقضي بعدم إثارة المسألة الدينية ، لكن جيمس الثاني تغاضى عن قانون الاختبار الخاص بمنع الكاثوليك من شغل المناصب المدنية والعسكرية ، فملأ هذه المناصب ببعض أنصاره من الكاثوليك ، ثم أعاد العمل باعلان

الغفران ، الذي كان شارل الثاني قد اصدره وعارضه البرلمان ، والذي يوقف كل أنواع العقوبات على الكاثوليك والمخالفين، وأتبع ذلك في عام ١٦٦٨ باصدار اعلان اخر للغفران على ان يقرأ في اماكن العبادة الانجيليكانية .

وكان في هذا العمل تحد سافر لمشاعر الانجيليكانيين الذين يكونون القوة الحقيقية وراء الملكية التي يمثلها حزب التورى. ورفض سبعة من الأساقفة الانجلكانيين إذاعة الإعلان، وقدموا ملتمسا إلى الملك يناشدونه فيه عدم إرغام رجال الدين على انتهاك القانون، وامتنع غالبية (الاكليروس)في جميع أنحاء البلاد عن قراءة الإعلان في أماكن العبادة الانجليكانية، مما اغضب الملك وجعله يصدر أمرا باتخاذ الاجراء القانوني ضد الأساقفة السبعة، فأثارت محاكمتهم الشعب.

وزاد في هياج الخواطر ما ارتكبه جيمس الثاني من تصرفات خاطئة ، كموقفه من ثورة الدوق مونموث البروتستانتي ، الذي كانن ابنا غير شرعي لشارل الثاني، وحاول القيام بثورة مسلحة في غرب انجلترا، فهزم وقبض عليه واعدم . وكان في وسع جيمس الثاني الاكتفاء بهذا ، لكنه فضل الاضطهاد العام لانصار الدوق الثائر، فارسل الى الغرب احد القضاه المعروفين بقسوتهم، وهو جيفيريز، واطلق على تلك المحاكمات (المحاكمات الدموية)، وقد ذهب ضحيتها اكثر من ثلاث مائة شخص أغلبهم من فقراء الفلاحين، كما رحل الى جزر الهند الغربية ما يربو على ثمان مائة.

ومع ذلك، فقد سكت الشعب على كل هذا ، لان وريثة العرش حينذاك كانت ماري ابنة جيمس من زوجته الاولى زوجة وليم اورانج، وهي بروتستانتية، ولكن لما أعقب زوجة جيمس الثانية الكاثوليكية ولدا في ١٠ يونيو ١٦٨٨م، أصبح المولود وفق القانون الانجليزي أحق بالوراثة من ماري. فانتابت الانجليز خيبة أمل شديدة. إذ كان المعتقد أن هذا

الطفل سيربى على الكاثوليكية. ولقد حدثت هذه الولادة في نفس الوقت الذي قدم فيه الأساقفة السبعة للمحاكمة لعدم تنفيذهم (اعلان الغفران). فنجم عن الحادثين هياج خطير في صفوف الشعب ، وتناسى زعماء الهويج والتورى خلافاتهم ، وارسلوا خطابا سريا الى وليم الثالث وليم اورنج وزوجته ماري يدعوانهما للحضور لنجدة انجلترا .

وفي نوفمبر عام ١٦٨٨ وصل وليم الثالث إلى انجلترا والتف الناس من مختلف الطبقات حوله ، وارسل الملك جيشه لمواجهته ، ولكن الجيش كان مترددا في تنفيذ اوامره . وأدرك جيمس انه يقف وحيدا ، فارسل زوجته وطفله الى فرنسا ولحق بهما بعد قليل . وهكذا انتهت أسرع ثورة بيضاء . فلما اجتمع البرلمان أعلن خلو العرش وعرضه على وليم وماري بالاشتراك. وبهذا الإجراء قضى البرلمان على نظرية حكم الملك بمقتضى الحق الإلهي المقدس وأصبح الملك يحكم باختيار الشعب والبرلمان.

قانونا الحقوق والتسامح :

اتضح من العرض السابق أن النزاع بين الملك البرلمان حول السلطة كان قائما خلال القرن السابع عشر ، وان ملتمس الحقوق عام ١٦٦٨ كان أول قانون يحد من طغيان الملكية . ولكن عندما تلاه الحرب الأهلية وقيام الجمهورية والحماية؛اختفى ملتمس الحقوق ، كما اختفت المسألة الدستورية برمتها ، حتى عادت الملكية دون ان يصحب عودتها عودة السلطة التي كانت لجيمس الاول . وحرص شارل الثاني على تجنب الاشتباك مع البرلمان ، ورغم ذلك فقد بقيت الملكية مصدر السلطة المطلقة من ناحية الادعاء بان الملك معين عن طريق الله ، فهو فوق كل القوانين ويستطيع ايقاف تنفيذها متى شاء .

وهذا الادعاء هو ما حاول البرلمان دحضه في عام ١٦٨٩ بقانون الحقوق وبمقتضاه أعلن خضوع الملك للقانون، كما انه جعل كل التشريعات التي أصدرها جيمس الثاني غير قانونية ، وبقانون الحقوق ينتهي النزاع الدستوري الطويل بانتصار البرلمان ، وتدخل انجلترا في حقبة جديدة من تاريخها هي حقبة الحكومات البرلمانية .وكما أنهى البرلمان النزاع الدستوري، خطا خطوة مهدت الطريق لحل المسالة الدينية ايضا ،فاصدر قانون التسامح (١٦٨٩) الذي يمنح المخالفين حق العبادة العلنية فاصبح البروتستانت غير الانجيليكانيين يتمتعون بالحرية الدينية وان لم يتمتعوا بالحرية السياسية ،وبذلك كان لقانون التسامح الفضل في اضعاف الروح البيوريتانية العنيفة وتهدئة البلاد من الناحية الدينية . وهذان القانونان : قانون التسامح وقانون الحقوق يوضحان الاهمية التاريخية لما اطلق عليه(الثورة المجيدة).

المحاضرة الحادية عشر

روسيا دولة كبرى:

المقدمة:

حينما اطل القرن السابع عشر على قارة أوروبا لم تكن تلك الشعوب السلافية الأصل التي انتشرت في السهول الواسعة الممتدة في شرق أوروبا بين البحر الأبيض في الشمال وبحر قزوين في الجنوب منذ العصور الوسطى قد اندمجت بعد في حياة القارة أو أقامت اتصالا حضاريا مع شعوبها ودولها.فالروس وان اخذوا بالمسيحية كدين إلا إنهم اعتنقوا المذهب الشرقي الأرثوذكسي منها مما لم يقربهم من أوروبا الشديدة التمسك بكاثوليكيتها آنذاك. ومن الناحية الحضارية كانوا لا يزالون خاضعين لتأثير الحضارات الآسيوية بسبب اتصالهم بشعوب آسيا من ناحية ولكونهم قد خضعوا ولفترة طويلة لحكم قبائل التتار، الذين أغاروا على بلادهم وحكموها خلال القرن الثالث عشر. وروسيا جغرافيا محاطة بدول قوية تسد منافذها على أوروبا؛فكانت الدولة العثمانية في الجنوب وسيطرت على المناطق المحيطة بالبحر الأسود،وكانت بولندا في الغرب وترغب في التوسع شرقا على حساب روسيا،وكانت السويد جهة البلطيق وتسيطر على الملاحة فيه،وتسد على روسيا إمكانية الاتصال بالعالم الخارجي عن طرق سواحله. ولم يكن لروسيا آنذاك اتصال بحري إلا مع البحر الأبيض الشمالي الذي تتجمد مياهه في أكثر فصول السنة،ومع بحر قزوين الآسيوي المغلق.

وخلاصة القول كانت روسيا منعزلة عن العالم المتحضر في العصور الحديثة،فتخلفت عن اللحاق بركب الحضارة.ولم تواكب العصور الحديثة إلا في ظل عائلة رومانوف خصوصا في عهد بطرس الأكبر.

تسلم ميشال رومانوف حكم روسيا عام ١٦١٣ بعد فترة من الاضطراب تلت وفاة آخر حكام عائلة (روريك).واستمر حكم عائلة رومانوف حتى الثورة البلشفية عام ١٩١٧، ولقي ميشال تأييد شعبه رغم صغر سنه إذ تسلم الحكم وهو في الخامسة عشرة من عمره؛وذلك لأن روسيا تعرضت لغزو البولونيين ومحاولة فرضهم زعيمهم الكاثوليكي قيصرا على

روسيا. لكن مقاومة الشعب الروسي وحدة شعورهم القومي أديا لطرد البولونيين من موسكو، واعتلاء شارل رومانوف عرش روسيا.

وخلفه على العرش ابنه الكسي عام ١٦٤٥، الذي أخذ من البولونيين أوكرانيا الشرقية ومعها مدينة كيف بادئا بذلك مرحلة توسع روسية باتجاه الغرب. وكان الكسي راغبا في إقامة اتصال مع الحضارة الأوروبية.وبدأ ذلك فعلا وأتمه ابنه فيدور(١٦٧٦-١٦٨٢).واستقر مجموعة من الكتاب الغربيين في ضاحية بالقرب من موسكو عرفت باسم الحي الألماني.

وبدأ السعي الجاد لإخراج روسيا من عزلتها وإدخالها في شؤون القارة الأوروبية وحضارة العصور الحديثة في زمن بطرس الابن الثاني لألكسي ، الذي تسلم الحكم عام ١٦٨٢ وكان لا يزال في العاشرة من عمره، فتولت شقيقته صوفيا الوصاية عليه وكذلك شؤون الحكم. وكان القيصر الطفل يتردد على الحي الألماني وصاحب أبناء الجاليات الأجنبية، ومن خلالهم اتصل بالحضارة الأوروبية وأحبها وآمن بها.ومن الشخصيات التي أثرت على بطرس آنذاك الضابط الاسكتلندي (غوردن)وكان خبيرا في سلاح الهندسة والمدفعية، و(لوفور) وهو ابن تاجر سويسري غني.

وبلغ بطرس عام ١٦٨٩ سن الرشد وانتزع الحكم من شقيقته، لكنه ترك معظم شؤون الحكم لوالدته وتابع حياته في الضاحية الألمانية. واهتم بشكل خاص ببناء السفن وإنشاء أسطول روسي. ولما ماتت والدته عام ١٦٩٤ تولى بطرس شؤون الحكم بصورة فعالة، وتلخصت سياسته بشكل رئيسي في ثلاثة خطوط أو اتجاهات: (مناقشة١٤)

١- ربط روسيا بأوروبا عن طريق إيصال السيادة الروسية إلى البلطيق والبحر الأسود.

٢- جعل حكمه مطلقا وذلك بالتخلص من القوى التقليدية في روسيا(النبلاء والكنيسة والحرس الوطني)

٣- فتح أبواب روسيا أمام الحضارة الأوروبية.

الحرب الروسية - العثمانية:

قامت سياسة بطرس الخارجية على ضرورة توسيع حدود روسيا حتى البحار الدافئة لتتصل بالعالم الخارجي وتواكب التطور.ولذا استغل أول فرصة للتوسع جنوبا.وذلك أن العثمانيين كانوا أواخر القرن السابع عشر في حرب مع النمسا ،فاستغل بطرس ذلك وأعلن الحرب على الدولة العثمانية عام ١٦٩٥ ،وحاصر قلعة آزوف على البحر الأسود عند مصب نهر الدون.ورغم مقاومة القلعة إلا أنه تمكن بأسطوله الصغير الذي أسسه بمساعدة بعض الخبراء الأجانب من إجبار الحصن على الاستسلام.وحقق بذلك أول انتصار عسكري لبلاده على الأتراك.وأتبعه بالاستيلاء على الأراضي المحيطة بنهر الدون.

رغم انتصار بطرس فقد أدرك قوة الدولة العثمانية وصعوبة الانتصار عليها ،فسافر إلى أوروبا للإطلاع على الحضارة الأوروبية عن قرب،وللبحث عن حليف له في مواجهة الدولة العثمانية. وشكل بعثة كبيرة من مستشاريه لدراسة تفاصيل الحياة الأوروبية انضم بنفسه إليها.وكان أول قيصر روسي يغادر بلاده لمدة طويلة(١٦٩٧- ١٦٩٨).وحاول خلال رحلته لأوروبا تفهم أساليب الحضارة الأوروبية ومصادر قوتها ،فزار المصانع والمطابع والمعامل،وأحواض السفن في انجلترا وهولندا ،واختلط بالعمال وتقرب منهم لمعرفة أسرار المهنة. وفشلت رحلته في إيجاد حليف لروسيا ضد الدولة العثمانية،فوقع معها معاهدة عام ١٦٩٩ حصلت روسيا بموجبها على آزوف وأصبح لها موطئ قدم على سواحل البحر الأسود.

ولما كان في فيينا ، علم بثورة الحرس الوطني عليه بالتعاون مع شقيقته صوفيا وبعض النبلاء ورجال الدين الذين سياسته للتقرب من أوروبا.وتمكن الجيش الحديث الذي كونه بطرس من القضاء على الثورة قبل عودته للبلاد. وانتقم بطرس من الثائرين وأعدم حوالي ألف شخص بعد عمليات تعذيب وحشية شارك فيها بنفسه.وسعى لتصفية الحرس نهائيا باعتباره نموذج للرجعية في روسيا ،ويحول دون انفراده في الحكم.

الحرب الروسية - السويدية:

أدرك بطرس بعد تصالحه مع الدولة العثمانية عجزه عن مواجهتها لوحده وصعوبة التوسع على حسابها؛لذلك قرر التوسع في البلطيق على حساب السويد التي تسيطر على سواحله وتعتبره بحيرة سويدية.وفي عام ١٧٠٠ شكلت الدول الثلاث المجاورة للسويد والمعادية لها وهي روسيا وبولونيا والدانمرك تحالفا عسكريا ضد السويد مستغلة جلوس شارل الثاني عشر صغير السن على عرش السويد ،وأعلنت الحرب عليها .

وقد أظهر ملك السويد براعة في فنون الحرب في البداية.وهاجم الدانمركيين في بلادهم قبل وصول حلفائهم ،وهزمهم وأجبرهم على الصلح والانسحاب من الحرب.وأجبر البولونيين على التراجع. وتفرغ ملك السويد مع جيشه المكون من عشرة آلاف جندي لمواجهة الجيش الروسي المكون من حوالي ثلاثين ألف جندي والذي كان يحاصر نارفا.ونجح في نوفمبر عام ١٧٠٠ في هزيمة الروس وفر القيصر إلى عاصمته للدفاع عنها. وقرر ملك السويد متابعة الحرب ضد بولونيا واستمرت حتى عام ١٧٠٧ ،والتي أفقدت السويد الزعامة التي تمتعت بها خلال القرن السابع عشر.

أما بطرس الأكبر فقد بدأ منذ عام ١٧٠١ بإعادة تنظيم جيشه، واستغل فرصة انشغال ملك السويد في بولونيا وهاجم سواحل البلطيق واحتل قسما كبيرا منها، وبنى عام ١٧٠٣ مدينة جديدة عند مصب نهر نيفا أسماها بطرسبرغ.ومنذ عام ١٧٠٨ تفرغ ملك السويد لحرب روسيا، وتقدمت جيوشه في الأراضي الروسية صوب العاصمة بينما الروس ينسحبون أمامها. لكن عدم وصول المساعدة من السويد ولظروف الطقس البارد وعدم استعدادهم للوقاية منه، خصوصا أن شتاء عام ١٧٠٨- ١٧٠٩ كان قاسيا، وانتشرت الأمراض بين جنوده؛مما افقده نصف رجاله.وتعرض ملك السويد عام ١٧٠٩ إلى هزيمة ساحقة في معركة بولتافا.واضطر ملك السويد وبعض جماعته إلى الهرب واللجوء للدولة العثمانية.واعتبرت المعركة نقطة فاصلة في تاريخ السويد إذ أفقدتها الزعامة في شمال أوروبا وتحولت إلى دولة صغيرة.

وعمل ملك السويد خلال وجوده في الدولة العثمانية على تحريض السلطان العثماني لمحاربة روسيا، ليتمكن من العودة إلى السويد واستعادة أراضيه.وكان السلطان العثماني متخوفا من قوة روسيا وراغبا في استعادة مدينة آزوف، لذلك أعلن الحرب على روسيا عام ١٧١١، واضطر قيصر روسيا للتنازل عن آزوف للسلطان العثماني.وبقي تشارل في الدولة العثمانية حتى عام ١٧١٤.ولما عاد لبلاده كانت أوضاعها سيئة وعاد التحالف الثلاثي ضد بلاده، وفشل في استعادة أراضيه في البلطيق من روسيا.ومات عام ١٧١٨ وتسلمت شقيقته الحكم.وفي عام ١٧٢١ وقعت روسيا والسويد معاهدة نايشتات التي أعطت جميع سواحل البلطيق الشرقية عدا فنلندا إلى روسيا.

وبذلك انتهى الصراع الطويل بين روسيا والسويد بالقضاء على زعامة السويد كدولة كبرى، وتكريس انتصار روسيا وتحقيق هدف بطرس بفتح نافذة لروسيا على البلطيق لتطل منها على أوروبا والعالم.

إصلاحات بطرس:

كانت روسيا قبل بطرس متخلفة في كثير من المجالات، فالزراعة بدائية ولا مواصلات ولا صناعة .والمصدر الأساس للثروة كان استثمار أخشاب الغابات وفراء الحيوانات وتصديرها للخارج بأسعار مرتفعة.أما النظم العسكرية والادارية فقد كانت متخلفة . لذلك كله سعى بطرس إلى إدخال الحضارة الأوروبية إلى بلاده.ولما عاد من رحلته الأوروبية بدأ بسلسلة من الإصلاحات شملت معظم أوجه الحياة الروسية واستمرت حتى وفاته.وكان يشرف عليها بنفسه.إلا أن إصلاحاته لم تأت بناء على خطة منظمة ومدروسة، وكانت قراراتها فردية ولحاجة وقتية.أما أبرز ملامح هذه الإصلاحات :

اهتم بالجيش والأسطول فقد اعتبرهما الدعامة الأساسية لحكمه والسبيل لتطوير بلاده، فبنى نواة لأسطول روسي صغير خاض فيه المعركة الأولى ضد العثمانيين عام ١٦٩٦.وامتلكت روسيا في عهده أسطولا من ٤٨ مركبا كبيرا للأسفار البعيدة، وحوالي ٨٠٠ قطعة صغيرة. وكان اهتمامه كبيرا بالجيش أيضا، فبادر منذ بداية حكمه لتأسيس جيش حديث وقوي ودائم بلغ تعداده حوالي مائة ألف جندي نظامي قبل وفاة بطرس، وألحق بهم مائة ألف من القوزاق والمرتزقة.وقام هذا الجيش على أسس ثلاثة:

١- المساواة بين المواطنين في وظائف الجيش.وأصبح النبلاء والفلاحين على قدم المساواة في الجندية.

٢- إلزامية الجندية لجميع فئات الشعب.

٣- الحصول على المال عصب الحرب كيفما كان وبكل الوسائل لتأمين حاجات الجيش الذي هو ضمانة النظام والدفاع.

وقد فرض أشد الأنظمة داخل الجيش، كما فرض عقوبات قاسية وصلت حد الموت لمن يهربون من الجندية أو المعركة. ولما قرر بناء عاصمته الجديدة التي أسماها سان بطرسبرج، انتدب للعمل فيها آلاف الأسرى والعمال الذين جمعهم بالقوة من جميع أنحاء روسيا.وأراد هذه المدينة على غرار مدينة أمستردام الهولندية.وأجبر عددا من النبلاء والبرجوازيين على الانتقال إليها ، كما نقل بالقوة تجارا وعمالا ومهنيين.وجعل منها رمزا لرغبته في الاتصال بأوروبا وحضارتها.وقد ازداد عدد سكانها بسرعة وتحولت إلى مركز رئيسي لتجارة روسيا واتصالها بالخارج.

ولما كانت إصلاحاته تتطلب الكثير من الأموال خصوصا مصاريف الجيش والأسطول؛ فقد تدخل في الحياة الاقتصادية لزيادة دخل المواطنين وبالتالي زيادة قدرتهم على دفع الضرائب الكثيرة. ففي مجال الصناعة شجع العاملين فيها وأعفاهم من الخدمة العسكرية ، واستقدم الاختصاصيين من الخارج لتدريب العمال الروس ولإنشاء صناعات جديدة .وفرض رسوم جمركية مرتفعة لحماية الصناعات المحلية الناشئة.كما استثمرت الدولة نفسها في انشاء المصانع والمناجم.ونتج من كل ذلك المئات من مصانع النسيج والحديد وبناء السفن وغيرها.وبذل جهودا كبيرة لاستثمار معادن البلاد الوفيرة في جبال الأورال كالحديد والذهب والنحاس، حتى أصبحت روسيا تسد حاجاتها من الحديد وتصدر الفائض منه للخارج.

واهتم القيصر بطرس بفئة التجار، لتصبح قادرة على تصريف منتجات روسيا للخارج.وعمل على تأسيس شركات تجارية كبرى على النمط الغربي.وعزز التجارة مع الغرب والصين وسيبيريا. كما اهتم بالزراعة وأدخل المعدات الزراعية الحديثة إلى بلاده.وشجع الناس على تربية أصناف جديدة من الخراف أفضل من التي اعتادوا عليها. ولتعزيز الحياة الاقتصادية عمل على بناء الجسور وشق الطرق في أنحاء روسيا.

أما في مجال الحياة الاجتماعية، فقد قام بنفسه بقص ذقون مستقبليه بعد عودته إلى روسيا للتخلص من هذه العادة الشائعة.واستبدل الملابس الروسية الفضفاضة بملابس ضيقة على النمط الغربي.وأصدر مرسوما عام ١٧٠٠ يمنع الذقون وارتداء الملابس القديمة الشرقية.وقاوم رجال الدين مسألة قص الذقون؛فسمح أخيرا لمن يريد من النبلاء تربية ذقنه مقابل ضريبة معينة لخزانة القصر.

واهتم كثيرا بالمرأة الروسية متأثرا بما رآه في الغرب من مساهمة المرأة في الحياة العامة؛فحرر المرأة الروسية وأخرجها من عزلتها التقليدية، وقضى على نظام الحريم الشائع آنذاك، وأقام الحفلات المختلطة في قصره. وأمر عام ١٧٠٢ بمنع الزواج بغير رضا العروسين، وفرض فترة خطوبة. ورغم معارضة رجال الدين والنبلاء لهذه التغييرات إلا أن بطرس لم يأبه بهم؛ لأنه جعل سلطته مطلقة استبدادية، وأزال من طريقه كل القوى التي كانت قادرة على معارضته والتصدي له.

واستغل ثورة الحرس القديم للقضاء عليهم وتخويف الفئات الأخرى، وليفسح الطريق لإصلاحاته.واستبدل مجلس النبلاء والإقطاعيين صاحب القوة التقليدية المنافسة للقيصر، بمجلس للشيوخ يضم وزراء البلاط ويتولى إدارة شؤون البلاد في غياب القيصر، واشترط أن يكون الأعضاء من الموظفين لضرب النبلاء.وأبطل احتكار النبلاء

للوظائف العامة والوظائف العليا في الجيش، وجعل الكفاءة والعلم الأساس في تقلد المناصب. وقد أنيط بهذا المجلس الذي يرأسه مدعي عام مهمة الإشراف على الإدارة الحكومية التي أعيد تنظيمها على النمط السويدي . وكان على المجلس محاربة الرشوة والفساد في صفوف الموظفين.

وتصدى بطرس للكنيسة الأرثوذكسية الروسية، التي كانت تملك الثروة والنفوذ على رجال الدين في جميع أنحاء روسيا، وحاربت التيارات الحضارية القادمة من الغرب.وكان لبطريرك موسكو نفوذ يعادل نفوذ القيصر. ولذلك حين شغر الكرسي ألبطريركي عام ١٧٠٠، أبقاه دون بطريرك حتى عام ١٧٢١ حينما ألغى وظيفة البطريرك، وأوكل شؤون الكنيسة لمجلس مقدس يضم قسيسين وأساقفة يرأسه موظف علماني يعينه القصير، ويهتم بصورة خاصة بمنع تدخل الكنيسة في شؤون الدولة.

ومن أعمال بطرس الهامة فرض التعليم الإجباري على أبناء النبلاء ، وفرض عليهم إرسال أبنائهم إلى أوروبا لاكمال تحصيلهم العلمي. كما أصلح نظام العملة الروسية، وكذلك الأبجدية الروسي إذ ألغى ثمانية حروف لا فائدة منها.وتبنى التقويم الميلادي الحديث، بعد أن كانت السنة في روسي تبدأ في أيلول وتحسب منذ بدء الخليقة.

ومن الانتقادات التي وجهت إلى إصلاحات بطرس؛ أنه أرهق شعبه بالضرائب اللازمة لإصلاحاته ومشاريعه. وأرهق الفلاحين بكثرة العمل، وانتشر نظام الرقيق، وازداد التصاق الفلاح بالأرض التي يفلحها. وكانت الصناعة أقل نجاحا مما أراد بطرس، وكذلك فشلت الشركات التجارية في منافسة مثيلاتها في هولندا وانجلترا. ولم تستطع إصلاحاته الإدارية القضاء على الفساد والرشوة في صفوف الموظفين.

وخلاصة القول نجح بطرس قيصر روسيا في إعطاء دولته الأسس الثلاثة للدولة الحديثة:الجيش والأسطول والإدارة المدنية .وفتح أبواب بلاده بصورة نهائية للحضارة الغربية،مما مكنها الدخول بسرعة إلى نظام أوروبا السياسي وبالتالي أصبحت إحدى أكبر دول القارة وأقواها.

المحاضرة الثانية عشر

تتكون المحاضرة من موضوعين:

- بروسيا في القرن الثامن عشر
- حروب القرن الثامن عشر

بروسيا في القرن الثامن عشر:

المقدمة:

تعود بروسيا في أصلها إلى إمارة براند بورغ الصغيرة التي تكونت في القرن العاشر في ألمانيا ،لتكون نقطة أمامية لصد هجمات المغيرين الصقالبة. وكان على رأسها في البداية حاكم يعينه الإمبراطور ويتمتع بسلطات واسعة يسمى حاكم الثغر. واتسعت هذه الإمارة تدريجيا باتجاه الشرق،وفرضت سلطانها في سهول ألمانيا التي كانت تأتي عبرها القبائل المغيرة.ونجحت في وقف هجماتها وتحولت من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم،ولعبت دورا هاما بين المقاطعات الألمانية.وحمل حاكمها لقب ناخب مطلع القرن الخامس عشر،الذي يخوله مع ستة آخرين من الأمراء والأساقفة حق انتخاب الإمبراطور.

وفي عام ١٤١٥ عين الإمبراطور(سيجيسموند)،أحد نبلاء جنوب ألمانيا (فريدريك هوهنزولرن) منتخبا على براند بورغ؛فانتقلت الأسرة من الجنوب إلى الشمال،ولعبت دورا كبيرا في تاريخ الشعب الألماني.وكانت مهمة فريدريك الأولى قطع دابر الفوضى التي أشاعها الفرسان الذين فرضوا الضرائب القاسية على المزارعين،وعرقلوا تجارتهم. فقضى عليهم بسرعة وأشاع الأمن في المقاطعة،واتخذ من برلين مقرا لحكمه. وبعد وفاته أكمل أولاده المهمة،ووسعوا رقعة الإمارة.

ووقفت براند بورغ على الحياد عندما بدأت الحروب الدينية في ألمانيا بين الكاثوليك والبروتستانت.رغم أن حاكمها أصبح بروتستانتيا عام ١٥٣٩. ولما كانت أراضي براند بورغ

فقيرة الموارد ركز حكامها من آل هوهنزولرن على إضافة أراضي جديدة لحكمهم معتمدين في ذلك على قوانين الإرث.ونجحوا عام ١٦١٤ بالاستيلاء على دوقية كليف على ضفاف نهر الراين،وحصلوا عام ١٦١٨ على دوقية بروسيا التي كانت تتبع لملك بولندا.وبذلك أصبح لآل هوهنزولرن مطلع القرن السابع عشر أراضي واسعة،لكنها موزعة وغير متصلة الأجزاء،لذلك احتاجت هذه الإمارة إلى حاكم قوي ليربط أجزاءها المتناثرة.

لم يستطع جورج وليم(١٦١٩- ١٦٤٠) تحقيق وحدة براند بورغ. وجاء بعده إلى الحكم فريدريك وليم(١٦٤٠- ١٦٨٨) الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لملكية بروسيا. تسلم حكم أملاك ثلاث مقاطعات واسعة موزعة في أنحاء ألمانيا تنقصها الوحدة القومية.وكان لكل مقاطعة مجلسا خاصا يضم عددا من النبلاء ومن ممثلي المدن الألمانية.وأبرز اختصاصات هذا المجلس احتكاره حق فرض الضرائب. وكان فريدريك بصفته ناخب براند بورغ تابع للإمبراطور،وبصفته دوق بروسيا كان يدين بالولاء لملك بولونيا،مما أفقد البلاد وحدة الولاء السياسي. كما سادها الاضطراب السياسي والضائقة الاقتصادية بسبب حرب الثلاثين عاما.ولذلك كله سعى فريدريك منذ تسلمه الحكم لوضع سياسة واضحة المعالم لتغيير أوضاع بلاده تدريجيا. وتمثلت هذه السياسة ب :

١- إخراج البلاد من الحرب، وأن تقف على الحياد.والعمل في الوقت نفسه على تكوين نواة جيش صغير ضمن إمكانيات البلاد. ونجح فريدريك في إخراج القوات الأجنبية من أراضيه.وحصل على مغانم ممتازة بموجب صلح وستفاليا،حيث حصل على القسم الشرقي من دوقية بوميرانيا المطلة على بحر البلطيق وكذلك على أربع أسقفيات ألمانية.

٢- العمل على إنشاء سلطة مركزية مطلقة أسوة بالعرش الفرنسي. وأن يكون ولاء الجيش لهذه السلطة.وحقق فريدريك ذلك تدريجيا وجرد النبلاء ومجالسهم من السلطان

السياسي،وأخذ منهم سلطة فرض وجباية الضرائب،وكذلك سلطاتهم الإدارية؛مما ساعده على تأسيس جيش قوي نظامي دائم،وحقق وحدة الحكم وأخضع المقاطعات كلها لإدارة مدنية واحدة قوية ومركزية.

وحقق أيضا إصلاحا اقتصاديا،عن طريق استصلاح الأراضي التي خربتها حرب الثلاثين عاما،وشجع الصناعة والزراعة وبنى الطرق والجسور والقنوات المائية.وفتح أراضي بلاده في أعقاب صلح نانت ١٦٨٥،للهيجونوت القادمون من فرنسا وشجعهم على الاستيطان فيها .ولما كان أكثرهم من أصحاب المهن والصناعة،فقد أسسوا نواة نهضة صناعية ممتازة في شمال ألمانيا.

٣- استغل فريدريك الحرب بين السويد وبولندا لتوحيد بلاده وتحررها السياسي الكامل.فخرج من الحرب بسيادته الكاملة على بروسيا وتحرره من سلطان ملك بولندا السياسي.

ملكية آل هوهنزولرن:

خلف فريدريك الثالث بعد وفاته والده عام ١٦٨٨.ورغم ضعفه الجسدي حقق نصرا كبيرا لعائلته ولبروسيا.حيث استغل حاجة الإمبراطور له في نزاعه مع فرنسا حول مسألة الوراثة الاسبانية أوائل القرن الثامن عشر.وحصل من الإمبراطور على لقب ملك بروسيا وتوج عام ١٧٠١ تحت اسم فريدريك الأول ملك بروسيا. ومنذ ذلك الوقت أخذ يطلق على أملاك آل هوهنزولرن في ألمانيا اسم مملكة بروسيا.

فريدريك وليم الأول(١٧١٣- ١٧٤٠) : امتاز بعقلية منظمة وحبه للروح العسكرية،وجعل دولته تقوم على دعامتين أساسيتين: الجيش والإدارة.وعمل على تأسيس

جيش قومي بلغ تعداده ثمانين ألفا؛وأصبحت بروسيا من الدول الأوروبية الكبيرة عسكريا، ليس فقط بسبب كبر عدد الجيش، وإنما بفضل حسن تدريبه ونظامه الدقيق والروح العسكرية التي شملت الحكومة والدولة بكل أجهزتها. وجعل الصناعة البروسية المتطورة آنذاك في خدمة الأغراض العسكرية بالدرجة الأولى؛فأقيمت مصانع البارود والمدافع والبنادق في كل مكان، حتى العاصمة غلب عليها طابع القلعة الحربية أكثر من الطابع المدني.

وإلى جانب الجيش الكبير فقد وضع أسس إدارة سليمة حسنة التنظيم عهد بها إلى موظفين امتازوا بالنزاهة والكفاءة.واهتم بتنظيم الضرائب وحسن جبايتها، فحصل على خزانة عامرة، واتبع سياسة إنفاق معتدلة. وجعل جميع هذه الأمور في خدمة جيش بروسيا.واهتم إلى حد كبير بالسياسة التعليمية وعمل على نشر العلوم والثقافة بين الشعب.

أما على صعيد السياسة الخارجية فقد اتبع سياسة هادئة مستقرة، فلم يدخل بلاده في حرب طوال حكمه سوى مرة واحدة حينما استغل الصراع بين السويد وجيرانها الروس والبولونيين والدانمركيين، واستولى على أراضي بوميرانيا السويدية الهامة، التي ربطت بروسيا مع بحر البلطيق عن طريق نهر الأودر.ووقع عام ١٧٢٠ معاهدة صلح مع السويد اعترفت بموجبها بسيادة بروسيا على بوميرانيا.

فريدريك الثاني العظيم(١٧٤٠- ١٧٨٦). انطوى على نفسه قبل ارتقاء العرش، ومال إلى الدراسات الفلسفية والأدبية، واتصل بكبار المفكرين مثل فولتير الفرنسي.واختلف مع والده بسبب اهتماماته تلك، وهرب إلى فرنسا وحوكم بالإعدام.ولم يشفع له من الموت سوى تعهده لوالده بأن يظهر المزيد من الاهتمام بالحياة العسكرية وبإدارة البلاد المدنية. ولما تسلم الحكم أظهر قدرة فائقة على إدارة شؤون الحكم والاستفادة من

الجيش الذي ورثه عن والده، واستبد بحكم بروسيا حتى أصبح الوزراء والمعاونين مجرد موظفين أو كتبه.

وأدرك نقاط الضعف والقوة في بروسيا، فرغم جيشها الكبير إلا أنها فقيرة الموارد، وقليلة عدد السكان فترتيبها الثانية عشرة، إضافة لكونها لا تمثل وحدة جغرافية؛ فاستعمل الجيش بكثير من الحذر والتروي. ورسم سياسة لبلاده انسجمت مع أوضاعها، ليحقق بالتالي وحدة أراضي مملكته تدريجيا. وحقق الكثير من أهدافه بسبب إخلاصه في العمل جاعلا من نفسه الخادم الأول لبروسيا، مظهرا موهبة عظيمة في الحرب كما في السلام، مما جعل الألمان يطلقون عليه(فريدريك الثاني العظيم).

حروب القرن الثامن عشر:

أوروبا بعد صلح وترخت ١٧١٣: (للمزيد حول نتائج هذا الصلح وأهميته يفضل مراجعة المحاضرة التاسعة)

رسم صلح وترخت خارطة سياسية جديدة لأوروبا، وبات متوقعا أن يوفر السلم فترة طويلة. لكن بوادر فشله بدأت تظهر بعد توقيعه، بسبب مراعاته مصالح الدول الكبرى لتحقيق مبدأ توازن القوى في القارة على حساب الاعتبارات الأخرى.

لم ترض اسبانيا عن صلح وترخت التي افقدها جبل طارق وجزيرة مينورفه لصالح انجلترا، التي أضافت لهذا الصلح مستغلة ضعف اسبانيا احتكارها تجارة العبيد إلى مستعمرات اسبانيا في أمريكا. ولم ترض فرنسا عن تفوق انجلترا البحري الذي حصلت عليه بموجب صلح وترخت. وهكذا بدا تنافس في مجالات التجارة والاستعمار في كل مكان بين

انجلترا وفرنسا واسبانيا.وتصادمت مصالح الانجليز والأسبان في البحار وتزايدت الكراهية بين الشعبين،والتي أدت إلى حرب بحرية عام ١٧٣٩.

مشكلة الوراثة النمساوية: أدرك الإمبراطور شارل السادس عدم قدرته على إنجاب وريث ذكر لعرشه،مما يعرض إمبراطوريته لخطر التقسيم أو الضم لدولة أخرى كما حصل مع اسبانيا.وليجنب بلاده هذا المصير عدل قانون وراثة العرش بقرار إمبراطوري أجاز لابنته ماريا تريزا زوجة أمير اللورين ارتقاء عرش والدها. ولضمان تنفيذ القرار حصل على اعتراف دول أوروبا وإماراتها بهذا المرسوم.ولم تمتنع عن الموافقة سوى بافاريا التي طمع أميرها بالتاج الإمبراطوري.

مات شارل السادس عام ١٧٤٠ ،وخلفته ابنته ماريا تريزا وكانت في الثالثة والعشرين من العمر،ملكة المجر آنذاك.وكانت قليلة التجارب.واضطرت للدخول في سلسلة حروب دفاعا عن وحدة الإمبراطورية،بسبب طمع الدول الأوروبية بتحقيق مكاسب على حساب النمسا مستغلة مشكلة وراثة العرش.

حرب سيليزيا الأولى :ادعت بروسيا ببعض الحقوق في سيليزيا وقام فريدريك الثاني بمهاجمتها رغم اعترافه بملكية ماريا تريزا. وحقق البروسيون نصرا كبيرا على الجيوش النمساوية في معركة(مولفيتز) عام ١٧٤١ وسيطروا على سيليزيا. ورغبت فرنسا بأن يكون لها دور سياسي وكذلك اسبانيا وسكسونيا وبافاريا،ودخلوا جميعا الحرب ضد النمسا،فاجتاح الفرنسيون بوهيميا،وهدد البافاريون فيينا ذاتها. وفي عام ١٧٤٢ انتخب أمير بافاريا إمبراطورا تحت اسم شارل السابع. كان فريدريك الثاني ملك بروسيا يهتم فقط بالحصول على سيليزيا،وعلى هذا الأساس وقع الصلح مع ماريا تريزا وانسحب من الحرب.متجاهلا تحالفه مع الفرنسيين.

حرب سيليزيا الثانية: تحسن موقف النمسا في الحرب بانسحاب بروسيا، خاصة بعد أن هب النبلاء والفرسان المجريون لمساعدة ملكتهم؛فانهزم أمير بافاريا وتنازل عن أملاكه للنمسا وكذلك عن لقبه الإمبراطوري. وانهزم الفرنسيون من بوهيميا، وتحولوا من الهجوم إلى الدفاع عن الالزاس واللورين.ولم تلبث أن انضمت انجلترا وسردينيا إلى جانب النمسا، وأرسلت انجلترا جيوشها إلى الأراضي المنخفضة بعد أن عقدت معاهدة ورمز سنة ١٧٤٣ بين انجلترا وسردينيا والنمسا، للوقوف في وجه سياسة فرنسا المتغطرسة.وبذلك نقلت انجلترا صراعها مع فرنسا واسبانيا من البحار والمستعمرات إلى أوروبا.

أدت انتصارات النمسا المتزايدة إلى خشية فريدريك الثاني من سعي ماريا تريزا لاستعادة سيليزيا، فعاد للحرب عام ١٧٤٤، واحتل بوهيميا وعاصمتها براغ، معلنا ما عرف بحرب سيليزيا الثانية، وبذا أنقذ فرنسا وبافاريا من هزائم مؤكدة. وحقق عدة انتصارات على النمساويين.وأجبرهم على عقد صلح(درسدن) ١٧٤٥ أكد فيه الصلح السابق بسيادة بروسيا على سيليزيا نهائيا.وتلا الصلح انتخاب فرنسيس الأول زوج تريزا إمبراطورا بموافقة ملك بروسيا.

واستمرت على الجبهات الأخرى؛بين فرنسا والنمسا في الأراضي المنخفضة، وبين انجلترا واسبانيا وفرنسا بحريا، وتعاونت اسبانيا مع فرنسا ضد النمسا في ايطاليا.ودخلت روسيا الحرب عام ١٧٤٦ إلى جانب النمسا.وحققت النمسا بعض الانتصارات العسكرية بمساعدة انجلترا وهولندا، ما جعلها تدخل مفاوضات الصلح في موقف أفضل.

صلح اكس لاشابيل ١٧٤٨:

تعب الجميع من الحرب، وبرزت اتجاهات مسالمة عند ملك اسبانيا، واعتدال موقف فرنسا وانجلترا، مما أدى إلى توقيع معاهدة الصلح في أكتوبر ١٧٤٨ التي وضعت حدا لحرب اشتركت فيها أكثر دول أوروبا.

أبرز ما تضمنه هذا الصلح:

اعتراف جميع الدول بحق الإمبراطورة ماريا تريزا في وراثة عرش والدها دون منازع

مبدأ توزيع المكاسب قام على إعادة كل شيء إلى ما كان عليه قبل الحرب، باستثناء السماح لبروسيا بالاحتفاظ بسيليزيا ، وإعطاء ملك اسبانيا وملك سردينيا ترضيات صغيرة في ايطاليا.

ومن أهم نتائج هذه الحرب أنها أرهقت فرنسا كثيرا وشغلتها عن الاهتمام بشؤون مستعمراتها وأسطولها، بينما كانت بريطانيا تعمل على تأكيد تفوقها في البحار وفي مجال الاستعمار باعتباره حجر الأساس في سياستها الخارجية.

حرب السبع سنوات: (تاريخ بدايتها ونهايتها هام)

أعاد صلح اكس لاشابيل الوضع في أوروبا إلى ما كان عليه. واستمر النزاع بين انجلترا وفرنسا في أمريكا والهند، وكذلك الخلاف حول أراضي سيليزيا رغم معاهدات الصلح بين النمسا وبروسيا.فكان الصلح بمثابة هدنة بين المتحاربين ليستعدوا لجولة جديدة، والتي بدأت عام ١٧٥٦ بحرب السبع سنوات .

حدث في أعقاب صلح اكس لاشابيل تغييرات في التحالفات اعتبرت ثورة في العلاقات الدولية في أوروبا، وفق ما عرف باسم (الثورة الديبلوماسية). فقد أدركت النمسا تدريجيا أن عدوها

وخصمها الحقيقي هي ألمانيا وليس فرنسا ،مما مهد لتقارب نمساوي- فرنسي، تبعه إنهاء التحالف بين النمسا والدول البحرية(انجلترا وهولندا) وقيام تحالف جديد في أوروبا ضم: فرنسا والنمسا وروسيا. ساعد عليه تخوف فرنسا من تزايد قوة بروسيا ونفوذها. وبذلك بدأت أوروبا تسير تدريجيا نحو الحرب بسبب رغبة النمسا في استرجاع سيليزيا. هذا إلى جانب عامل آخر وهو القتال غير المعلن الذي بدأ في شمال أمريكا منذ عام ١٧٥٥ بين الانجليز والفرنسيين، والذي تحول إلى حرب بين الدولتين في أوروبا عام ١٧٥٦ ،بسبب تزايد حدة الصراع حول الاستعمار(أميركا والهند).

وارتاب فريدريك الثاني(بروسيا) بتحالفات ماريا تريزا بعد انضمام السويد وسكسونيا إليها ،مما جعل بروسيا مطوقة بدول معادية من جميع جهاتها.واستعمل فريدريك عنصر المباغتة ،واحتل سكسونيا وبوهيميا عام ١٧٥٦ كمقدمة لمهاجمة النمسا. لكن كثرة أعداء بروسيا وعدم حصولها على المساعدات من انجلترا جعلها منذ عام ١٧٥٩ في موقف حرج.وازداد حرجا منذ عام ١٧٦٠ بميل جورج الثالث ملك انجلترا الجديد لمصالحة فرنسا وتصفية مشاكل انجلترا الاستعمارية معها.

وجاء حدث غير متوقع غير مسار الأحداث في أوروبا ،وذلك بوفاة إليزابيث قيصرة روسيا وخلفها القيصر بطرس الثالث ،وكان شديد الإعجاب بملك بروسيا ،ولا يرى مصلحة لبلاده في هذه الحرب، وانسحب منها في مايو ١٧٦٢ ،وكذلك انسحبت السويد من الحرب ووقعت معاهدة صلح مع بروسيا.

وتحسن موقف البروسيين كثيرا أواخر عام ١٧٦٢ ، وحققوا عدة انتصارات عسكرية على النمساويين، مما جعل الإمبراطورة ماريا تريزا توافق على عقد صلح لإنهاء حرب السبع سنوات.

صلح باريس ١٧٦٣ : اشتركت في توقيع هذا الصلح انجلترا وفرنسا والبرتغال واسبانيا.

وكانت اسبانيا قد تحالفت مع فرنسا عام ١٧٦١ بسبب خوفها من انتصارات انجلترا البحرية وازدياد نفوذها في المستعمرات،مما يهدد المصالح الاسبانية،وهذا ما دفع انجلترا لمهاجمة مستعمرات اسبانيا في كوبا والفلبين قبل أن تستعد بالفعل لدخول الحرب.

وبموجب هذه المعاهدة(صلح باريس) تنازلت فرنسا لانجلترا عن كندا،وكذلك عن الأراضي الواقعة غربي نهر المسيسيبي والممتدة من البحيرات الكبرى في الشمال حتى خليج المكسيك،ما عدا مدينة اورليان الجديدة التي أخذتها اسبانيا.وأعطت اسبانيا أراضي فلوريدا لانجلترا مقابل استرجاعها أراضي كوبا. وفي الهند أعيد الوضع إلى ما كان عليه قبل الحرب،وبذلك احتفظت فرنسا بممتلكاتها هناك على شرط أن تبقى مراكز تجارية فقط،دون احتفاظها بقوات عسكرية،أو إقامة تحصينات. وبذلك أطلقت يد انجلترا في الهند بصورة عملية. وقد وقع هذا الصلح في ١٠ فبراير عام ١٧٦٣.

وبعد خمسة أيام وقع صلح (هربرتسبورغ) بين النمسا وبروسيا؛وبموجبه أقرت السيادة البروسية نهائيا على سيليزيا.

المحاضرة الثالثة عشر

حرب الاستقلال الأمريكية:

المقدمة:

تعتبر حرب الاستقلال الأمريكية من معالم القرن الثامن عشر. وارتبطت أسبابها بالطريقة التي بدأ بها الانجليز عملياتهم الاستعمارية في أمريكا الشمالية.فحرب الاستقلال تعني استقلال المستعمرات الانجليزية عن الدولة الأم انجلترا.

شارك الانجليز في حركة الكشوف الجغرافية أواخر القرن الخامس عشر، حينما وصل (جون كابوت) إلى (نيو فوندلاند)، معطيا لملك انجلترا الحق في الادعاء بملكية ما عرف لاحقا باسم الولايات المتحدة الأمريكية. فقد أسس الانجليز أول مستعمراتهم هناك عام ١٦٠٧، وعرفت باسم (جيمستون). واتبعت الحكومة الانجليزية سياسة الشركات التي تولت استعمار الأراضي لحسابها بما يخدم مصلحة الوطن الأم(انجلترا)، باعتبارها من العوامل الجوهرية التي وطدت الاستعمار الانجليزي في أمريكا. وكان من عوامل نجاح هذا الاستعمار الهجرات المتتالية من انجلترا إلى العالم الجديد، وبالتالي زيادة عدد السكان في المستعمرات. ومما ساعد على زيادة عدد السكان أيضا الاضطهاد الديني للبيوريتان في انجلترا، وللهيجونوت في فرنسا، وبالتالي هجرتهم إلى العالم الجديد. وتوسعت تلك المستعمرات، وأصبحت تكون وحدات كبرى تمثلت في (١٣) ولاية، تحت حكم ملك انجلترا والبرلمان الانجليزي، لكن لكل منها حكمها الذاتي.

شجعت الحكومة الانجليزية رعاياها على الاستعمار ومنحتهم التسهيلات، لكنها في أول الأمر لم تكن تنتظر الكثير من الفوائد من الاستعمار في أمريكا ، بل كانت لديها مخاوف من أن اهتزاز لندن العاصمة الانجليزية اقتصاديا بسبب نمو اقتصاد المستعمرات على حساب اقتصاد الوطن الأم.وكانت المستعمرات في أول الأمر تتاجر مع انجلترا فقط؛لأن حكومة لندن أدركت الفوائد التي تجنيها من احتكارها تجارة المستعمرات؛ ولذلك أصدرت منذ منتصف القرن السابع عشر القوانين الملزمة للمستعمرات بالمتاجرة فقط مع بريطانيا.وكانت هذه القوانين من الصرامة لدرجة أن (ماسوشتس) تمردت مرتين على هذه القوانين(١٦٧٤/ ١٦٨٩). وحرم البرلمان الانجليزي على المستعمرات عام ١٧٥٠ إنشاء صناعة الحديد؛ لكي تبقى تلك المستعمرات مجالا مفتوحا أمام المنتجات الانجليزية

وبمرور الوقت ثبت أن المستعمرات الانجليزية كانت أكثر قوة وأعظم إنتاجا مقارنة مع المستعمرات الاسبانية والبرتغالية والفرنسية؛وذلك يرجع لعدة أسباب:

١- ضيق مساحة المستعمرات الانجليزية قبل أن يتوغلوا داخل البلاد ،وذلك بعكس البرتغال واسبانيا الذين فتحوا بلادا شاسعة قبل أن يبنوا المستعمرات.

٢- كان هدف الانجليز من كشوفهم في البداية كغيرهم من المستعمرين وهو : الحصول على الذهب والتوابل.ولكن ما أن استقروا في العالم الجديد خصوصا في السواحل الشمالية من الولايات المتحدة ،حتى تحولوا من البحث عن الذهب إلى العمل في الأرض وانتاج المحاصيل الزراعية التي تجلب إليهم الذهب؛ فقد كان البرتغال والأسبان والفرنسيون في حاجة إلى السكان الأصليين لكي يحصلوا على الذهب، لكي يحصلوا على الأيدي العاملة الرخيصة بطرق شرعية أو غير شرعية.أما الانجليز فكانوا يحتلون المنطقة ،ويبيدون سكانها أو يبعدونهم عن المنطقة عندما يؤسسون مستعمراتهم.

وكانت الحكومة الانجليزية تفرض الضريبة بعد الأخرى على المستعمرات رغم مقاومة المستعمرات عند تحصيل تلك الضرائب.وحدث ذلك عندما حاولت الحكومة الانجليزية فرض ضريبة الدمغة عام ١٧٦٥ ؛فقد واجهت مقاومة عنيفة من جانب المستعمرين الذين تمسكوا بحقهم في فرض وتحديد الضرائب، وعقدوا لذلك مؤتمرا في نيويورك عام ١٧٦٥ ، اشتركت فيه تسع ولايات؛ وقامت بعمل مشترك تجاه الضريبة ، وطالبت الحكومة البريطانية بإلغاء القانون.وألغت الحكومة البريطانية ضريبة الدمغة ،لكنها تمسكت بحق برلمان لندن بفرض الضرائب على المستعمرات. واستمر تأزم العلاقة بين المستعمرات والدولة الأم، وعندما فرضت الحكومة ضريبة على استيراد الشاي،وحاولت أن تفرضها بالقوة في بوسطن عام ١٧٧٠ ، أدى ذلك إلى(مذبحة بوسطن).

المؤتمر الأمريكي الأول ١٧٧٤:

أصبح أمر إلغاء ضريبة الشاي أو بقائها يعني الصراع بين حكومة لندن المستبدة، وحق شعب المستعمرات الراغب في حكم نفسه ولو حكما ذاتيا، ولما أصرت الحكومة على ضريبة الشاي، عمدت جماهير الشعب إلى مقاطعة الشاي الانجليزي وإلقاء شحنة منه في البحر(حفل شاي بوسطن ١٧٧٣). وأغلقت حكومة لندن ميناء بوسطن، واستعانت بكاثوليك كندا ضد المستعمرين الانجليز في الولايات. واشتد سخط هؤلاء المستعمرين وعقدوا المؤتمر الأمريكي الأول في فيلادلفيا عام ١٧٧٤، وأسسوا الكونجرس الأول من مندوبي الولايات الذين حضروا المؤتمر.

لم يطالب المؤتمر الأمريكي بالانفصال عن انجلترا، لكنه حذر الشعب الانجليزي من سياسة حكومته التي تنذر بحرب طائفية بين الكاثوليك(كندا) والبروتستانت في المستعمرات الأمريكية. وطالب المؤتمر بوقف الأعمال التعسفية. لكن الحكومة البريطانية استمرت في سياستها باستعمال القوة وأرسلت قوات جديدة إلى بوسطن. ودارت المعارك وبات استحالة عودة العلاقة بين انجلترا والمستعمرات. فقد كان سكان المستعمرات من الانجليز يحملون مفاهيم أوروبية انجليزية عن الحكم والإدارة والبرلمان، والفكرة القائلة أن من حق الشعب بأن يحكم نفسه بنفسه.

أصبح مستبعدا بقاء سكان المستعمرات مواطنين انجليز، ورفضت الحكومة الانجليزية الاعتراف بهم كمواطنين.ورغب سكان المستعمرات الانجليزية في أمريكا بأن تكون لهم شخصيتهم المستقلة، بعيدا عن وصمهم بالفقر أو بالفارين من الاضطهاد الديني. فقد انتشرت لدى سكان المستعمرات روح الاعتداد بالنفس والشعور بالمساواة والمقدرة على إدارة شؤون المستعمرات بكفاءة لا تقل عن كفاءة الحكام الانجليز.وفي الوقت نفسه كان

ملك انجلترا جورج الثالث وحكومته يعززون فكرة سيادة الحكومة المطلقة للدولة الأم على المستعمرات، ولم يكن الملك يتصور انسلاخ المستعمرات عن انجلترا، وأنه لا بد من استمرارية تبعية المستعمرات للحكومة البريطانية، حتى لو لم يكونوا ممثلين في البرلمان الانجليزي، وإن كانت بعض المستعمرات لا ترغب باستمرار السيادة الانجليزية عليها.

واعتاد سكان المستعمرات الانجليزية في أمريكا على الحكم الذاتي وحكم الشعب وتراث الماجنا كارتا، وتأثرت تلك المستعمرات بالنهضة الأوروبية والانجليزية في الأدب والأفكار التقدمية التي سبقت الثورة الفرنسية.

المؤتمر الثاني للولايات في فيلادلفيا (مايو ١٧٧٥) :ساد هذا المؤتمر توجه نحو تولي المستعمرات حكم نفسها، وأن تؤسس جيشا للدفاع عنها. ورغم وجود اتجاه يسعى إلى حل وسط، تمثل بإرسال سكان المستعمرات التماسا إلى الملك جورج الثالث بإعادة النظر في تلك الإجراءات التعسفية ضد المستعمرات، لكن الملك اعتبر المسألة مسألة سيادة الدولة الانجليزية، وأصر على ضرب الثورة بالقوة، مما أدى إلى إعلان استقلال الولايات في ٤ يوليو ١٧٧٦. (هذا التاريخ مهم)

العوامل التي أدت إلى نجاح حرب الاستقلال الأمريكية على الصعيدين المحلي والدولي:

١- نظرت العديد من الدول الأوروبية بعين القلق لخروج انجلترا منتصرة من معظم الحروب الأوروبية خلال القرن الثامن عشر. خاصة فرنسا التي فقدت معظم مستعمراتها لصالح انجلترا. أما اسبانيا التي رأت تفوق بريطانيا عليها بحريا وتجاريا، فقد عارضت فكرة ظهور دولة أمريكية مستقلة، حتى لا تقلدها المستعمرات الاسبانية، لكن الخطر الانجليزي على مستقبل اسبانيا، كان أعظم من خطر ظهور دولة أمريكية مستقلة، خاصة وان دخول

فرنسا الحرب ضد بريطانيا كان عاملا مشجعا إلى جانب الثورة الأمريكية، وكل منهما(فرنسا واسبانيا) تكره التفوق البريطاني الساحق في ميدان الاستعماروالمستعمرات.

٢- استعداد فرنسا لبذل الأموال والرجال لمساعدة سكان المستعمرات ضد بريطانيا. وفعلا دعمت فرنسا عسكريا الثورة الأمريكية. وكانت نداءات الأمريكيين مسموعة في أوروبا، باعتبارهم يمثلون الفكر الأوروبي المتحرر.هذا إلى جانب رغبات بعض الدول الأوروبية، بأن تدخل مكان بريطانيا من حيث التبادل التجاري مع الولايات الأمريكية.

وعجزت الحكومة البريطانية عن تحقيق نصر ولو محدود على الثورة الأمريكية، ومنيت بهزائم عديدة، رغم أنها قبل ذلك لم تدخل حربا إلا وخرجت منها رابحة خصوصا ضد فرنسا. ويعود السبب إلى أن قطع الأسطول البريطاني لخطوط المواصلات البحرية مع المستعمرات لم يكن في جداول التخطيط العسكري الانجليزي إلا بعد دخول فرنسا الحرب. كما كانت انجلترا تحتاج إلى جيوش كبيرة لتحارب شعبا على أرضه وليس جيشا محدود العدد جاء من أوروبا ويعتمد على ما يأتيه من وراء البحار. كل هذه الأمور أعطت الثورة الأمريكية تفوقا عسكريا إل جانب التفوق المعنوي الذي تمتلكه باعتبارها تدافع عن قضية عادلة آمنت بها، وتناصرها فرنسا ذائعة الصيت.

ولما عجزت الحكومة الانجليزية عن الوصول إلى أهدافها بالقوة، لجأت إلى التفاوض لتوقيع الصلح الذي تم عام ١٧٨٣، وبموجبه اعترفت بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة واعتبار نهر الميسيسيبي حدها الغربي. ولم تلبث أن تحسنت العلاقات بين الجمهورية المستقلة الجديدة وبريطانيا. ولم تقف الولايات الأمريكية مع فرنسا في حربها ضد بريطانيا اعترافا بجميل فرنسا في مساندة الولايات المتحدة الأمريكية. فقد وقفت حكومة الرئيس جورج واشنطن على الحياد مع الميل إلى بريطانيا نتيجة للعلاقات الاقتصادية التي تربط البلدين،

وعقدت الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة تجارية مع بريطانيا عام ١٧٩٤؛ فكان ذلك من أسباب توتر العلاقات الفرنسية الأمريكية، هذا إلى جانب حصول فرنسا على يد نابليون على (لويزيانا) الاسبانية التي تطلعت الولايات المتحدة إلى ضمها لاستكمال وحدة أراضيها.

ورغبتا فرنسا والولايات المتحدة باستمرار السلام بينهما ،فاشترت الولايات المتحدة(لويزيانا ونيو اورليانز) من فرنسا؛ ذلك أن نابليون أدرك عدم قدرته على الدفاع عن(نيو اورليانز) إذا تمسك بها؛لأن التمسك بها كان يعني الحرب مع الولايات المتحدة؛لأنها مفتاح الميسيسيبي .

ومن جهة أخرى كانت العلاقات بين فرنسا وبريطانيا تتدهور بسرعة صوب الحرب(١٨٠٣)،فكان إرضاء الولايات المتحدة نصر لفرنسا ، يمكن استغلاله ضد بريطانيا في المستقبل.

وأرادت الولايات المتحدة الاستمرار على الحياد بين انجلترا وفرنسا ،لكن الحصار البحري الذي فرضته انجلترا على السواحل الأوروبية للرد على الحصار القاري الذي فرضه نابليون ضد بريطانيا عام ١٨٠٦ ، أدى إلى تعرض السفن الانجليزية للسفن الأمريكية وتفتيشها ،الأمر الذي رفضه الأمريكيون. ولما تمادى الانجليز في ذلك وقعت الحرب بين انجلترا والولايات المتحدة عام ١٨١٢ ،واستمرت حتى عقدت اتفاقية (غنت) عام ١٨١٤ ، والتي أعادت الأمور إلى ما كان عليه، خاصة وأن ظروف أوروبا قد تغيرت بسقوط إمبراطورية نابليون.

نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية:

أصبحت مسألة مستقبل وشكل الحكومة التي ستتولى أمر أمريكا موضع بحث منذ إعلان حرب الاستقلال الأمريكية، خاصة وأن المستعمرات تمتعت بنوع من الحكم الذاتي والمجالس،فقد كان الاندماج في دولة قومية مستبعدا. ونظرا لظروف الحرب اتحدت الولايات

عسكريا دون أن تكون وحدة كاملة، فكان ظهور الاتحاد الفيدرالي بين الولايات(الولايات المتحدة).

ولما انتهت حرب الاستقلال سعت الأطراف لوضع دستور يرضي كافة الولايات الثلاثة عشر. وكانت المشكلة التي واجهت واضعي الدستور، إصرار الولايات الصغيرة أن يكون لكل ولاية صوت في البرلمان أو الكونجرس بغض النظر عن عدد سكانها، بينما أرادت الولايات الكبيرة أن يكون التمثيل بنسبة عدد السكان في الولاية؛ وأدى ذلك إلى ظهور مجلسين(الكونجرس) :

١- مجلس النواب: ينتخب النواب فيه على أساس عدد السكان.

٢- مجلس الشيوخ : تمثل فيه كل ولاية بعضوين اثنين بغض النظر عن عدد السكان.

ونص الدستور على أن أي تشريع لا يمكن أن يصبح قانونا ساري المفعول إلا إذا وافق عليه كل من المجلسين. وتكون السلطة التنفيذية في يد الرئيس المنتخب الذي هو مرشح الحزب الفائز في الانتخابات.واتبعت الولايات المتحدة منذ البداية منهج الحزبين المتنافسين باستثناءات قليلة. وليس في الولايات المتحدة مجلس وزراء كما هو الحال في أوروبا، إنما يقوم الرئيس المنتخب قبيل تسلمه مهام منصبه بتعيين سكرتيرين أشبه ما يكونوا بالوزراء لمختلف شؤون الحكم والإدارة. وهم مسؤولون أمامه عن تنفيذ سياسته. هذا نظام الحكم الذي نص عليه دستور ١٧٨٨، والذي وافقت عليه الولايات الثلاثة عشر. واستمد الدستور الأمريكي بعض مقوماته من الدستور البريطاني، وتأثر بالفكر التحرري الأوروبي. لكنه لم يوضع لأجل الإنسان كإنسان بغض النظر عن لونه وجنسه، واقتصرت حقوق الإنسان بمقتضى

الدستور الأمريكي على الإنسان صاحب الثقافة الأوروبية. أما غيرهم من الزنوج مثلا فقد استرقهم البيض وتجاهلتهم الثورة التحررية الأمريكية.

المحاضرة الرابعة عشر

أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر :

المقدمة: تغيرت أوضاع أوروبا أواخر القرن الثامن عشر عنها في مطلع عصر النهضة، ليس فقط من حيث ظهور دول جديدة؛ مثل الأراضي المنخفضة وروسيا وبروسيا، ولكن من حيث النمو الكبير في القدرات الاقتصادية والعسكرية لبعض الدول وتفوقها على دول كان لها المكان الأول في أوروبا.

انجلترا : تحولت من دولة قومية إلى امبراطورية مترامية الأطراف من العالم الجديد إلى القديم. وكانت صاحبة أقوى أسطول بحري، وتفوقت بذلك على اسبانيا والبرتغال وفرنسا وهولندا(الأراضي المنخفضة). ورغم استقلال الولايات المتحدة الأمريكية عن الدولة الأم (انجلترا)، فقد بقيت المستعمرات الأخرى(مثل كندا والهند) مجالات استثمارية واسعة امتدت حتى الصين والشرق الأوسط . وظهرت الثورة الصناعية أولا في انجلترا أواخر القرن الثامن عشر، ودفعت بالتفوق الانجليزي إلى مراحل عليا تجلت خلال القرن التاسع عشر.

فرنسا : بهرت العالم بتقدمها الحضاري في عهد لويس الرابع عشر ،لكن توالت عليها المحن العسكرية في عهد خليفته لويس الخامس عشر، وأصبحت أوضاعها(الفكرية والاقتصادية والاجتماعية) تتطلب تغييرا جوهريا.

هولندة وبلجيكا (الأراضي المنخفضة) : تقع إلى الشمال من فرنسا. وتميزت بنشاط استعماري واسع لم يكسر شوكتها إلا منافستها لانجلترا. وعانت من موقعها بين دول كبيرة متضاربة المصالح. وضمت الأراضي المنخفضة ما يعرف حاليا بهولندة وبلجيكا .

السويد : كانت السويد تضم حينذاك النرويج . وكان لها مواقع قوية شمال ألمانيا لم تستطع الحفاظ عليها أمام الضربات التي وجهت إليها من روسيا وبروسيا. وأصيبت السويد في أواخر القرن الثامن عشر بانقسامات داخلية مريرة أضعفت من مكانتها.

شبه جزيرة أيبيريا(اسبانيا والبرتغال) : كانت اسبانيا لا تزال تحتفظ بامبراطورية واسعة في أمريكا اللاتينية(الجنوبية) . ولكن اسبانيا فقدت أيام قوتها ، وتعرضت لمحن عسكرية خاصة أيام حرب الوراثة النمساوية وحروب لويس الرابع عشر، ففقدت الكثير من فعاليتها، ورغم ذلك بقيت من الدول الأوروبية التي يحسب حسابها.

أما البرتغال فقد احتفظت بالبرازيل،لكن إمبراطوريتها الشرقية تهاوت. واستعادت البرتغال في القرن الثامن عشر بعضا من قدرتها ، وقد ساعدها على ذلك تحالفها مع بريطانيا الذي أصبح أمرا تقليديا.

ايطاليا : ظلت شبه الجزيرة الايطالية مقسمة إلى العديد من الولايات والامارات المتنافرة. وكانت ايطاليا لا تزال مجرد تعبير جغرافي. وكانت للإمبراطورية الرومانية المقدسة اليد العليا في ايطاليا .

الإمبراطورية الرومانية المقدسة(ألمانيا والنمسا) : تمتعت بمكانة تاريخية كبيرة تحت حكم أسرة الهابسبورغ في فينا. وكانت تعاني من نمو الدول المجاورة ومن الضغط العثماني في البلقان. ولما ضعفت الدولة العثمانية أصبح البلقان منطقة تتنافس عليها روسيا والإمبراطورية الرومانية المقدسة . واعتبرت البلقان ميدان للصراع الإسلامي(الدولة العثمانية) المسيحي(الإمبراطورية الرومانية المقدسة) . وساهمت روسيا وإيران في تقويض الدولة العثمانية. ولم تتجه روسيا نحو الهند حتى أواخر القرن التاسع عشر. وكانت انجلترا تتابع التوسع والنجاح الروسي في الهند وفي السيطرة على التجارة الشرقية.

أما في الشرق الأقصى(الصين واليابان) فلم تكن هناك أي دولة على مستوى الحضارة الغربية، ولم تعرف ما يجري في أوروبا من نهضة.

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الوحيدة التي تصطبغ بالحضارة الأوروبية مع طابع محلي متميز.

والخلاصة نمت إمكانيات أوروبا الاقتصادية وتزايدت أعداد السكان وتطورت أساليب البحث، مما أدى إلى كشوف علمية واسعة النطاق وفي مختلف المجالات، ونمت الحركة الأدبية والفنية والموسيقية. وأصبحت أوروبا تعني الحضارة الحديثة المتقدمة.

وترتب على ذلك نمو حجم التجارة المحلية والعالمية، وتبع ذلك استخدام نظم مالية جديدة، جعلت عملية انتقال رؤوس الأموال تتم بسرعة، وتحكمت السيولة في أسواق النقد الدولية، في وقت أصبحت فيه الشركات الكبرى تتحكم في التوجيه السياسي.

أما الفكر الفلسفي في القرن الثامن عشر، فقد بلغ مركزا رائعا ،وكان جزء من تيار فلسفي مجدد ظهر في مختلف المجالات، حيث ظهرت مؤلفات وموسوعات ونظريات وضعت العالم على طريق جديد وقعت أحداثه في القرن التاسع عشر.

ومن الأمور الكبرى التي شكلت نقاط تحول رئيسية في أوروبا فقد تمثلت في الثورة الصناعية والكشوف العلمية والثورة الفرنسية، فقد غيرت تلك الأمور من وجه أوروبا أواخر القرن التاسع عشر عنه في أوائل القرن التاسع عشر.

مراجعة سريعة للمقرر بما لا يزيد عن ربع ساعة: